ثوّار.. أحبوا
مصر

obeikandl.com

عرفة/ سعيد عرفة
ثوار أحبوا مصر/ تأليف : سعيد عرفة
ط1ـ القاهرة : دار العلوم للنشر والتوزيع ، 2009
224ص ، 24سم .
تدمك : 3ـ221ـ380ـ977
1 – مجموعة قصصية
أـ العنوان
رقم الإيداع : 1945/ 2009

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الطبعة الأولى: 1430هـ/ 2009م

الناشر

دار العلوم للنشر والتوزيع - القاهرة

هاتف : 25761400(00202) فاكس : 25799907(00202)

الموقع الإلكتروني : www.dareloloom.com

البريد الإلكتروني : daralaloom@hotmail.com

daralaloom2002@yahoo.com

obeikandl.com

ثوّار.. أحبوا مصر

رواية

سعيد عرفة

obeikandl.com

obeikandl.com

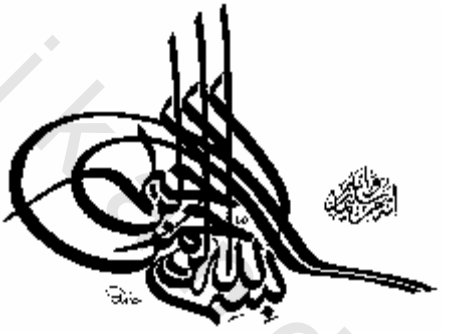

obeikandl.com

obeikandl.com

الإهداء..

إلى أرواح الثوار الذين استشهدوا في حبهم لمصر.. وضحوا بحياتهم من أجلها.. وفتحوا بذلك باب من النور أشرق من خلاله فجر المستقبل.. ومن بينهم خالد الذكر بطل الحرب والسلام الزعيم محمد أنور السادات رئيس الجمهورية.. كلهم في جنة الخلد التي بشرهم بها الله سبحانه وتعالى..ولن ينساهم الأحرار من شعب مصر.

سعيد عرفة

obeikandl.com

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ
عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ
وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ (الأحزاب)

صدق الله العظيم

مُقَدِّمَة

عزيزي القارئ. . .

عندما تقرأ هذه السطور من الأحداث التي مرت على الثوار وما فعلوه ضد الاستعمار البريطاني، من خلال الثلث الثاني من القرن العشرين، مضحين بحياتهم، رغم ما حدث لهم من تعذيب في السجون والمعتقلات أو إبعادهم خارج الوطن وكان منهم المواطنون العمال والطلبة ورجال البوليس ورجال الجيش، والبعض الآخر استشهد شنقا أو رميا بالرصاص، لأن أرواحهم كانت ترفرف على تراب مصر، وكانوا يقتحمون الصعاب من أجلها، ستجد نفسك معهم بكل جوارحك، وتتمنى لو عشت معهم في هذه الفترة الزمنية، مع أن الكثير منهم رحلوا عن دنيانا إلى جنة الخلد، وكثيراً منا الآن لا يعلم عنهم شيئا. . .

والحمد لله أني وفقت في كتابة هذه الرواية، والأحداث السياسية التي مرت بها خلال هذه الفترة من مصادر موثوق بها وتعتبر شهادة للتاريخ.

المؤلف

سعيد عرفة

obeikandl.com

obeikandl.com

(1)

نجيب باشا الحمزاوي من أكبر الشخصيات البارزة في المجتمع والمحببة لدي الثوار، فيه شئ من طيبة القلب والحس الإنساني، عكس شقيقه عبد الرحيم باشا، يضطره النفوذ الطبقي إلى زواج مصلحة من سيدة تركية جاهلة سوداء القلب، عقيم، يقيمان بالعزبة التي يمتلكها بإحدى مراكز أسيوط، هرباً من هذا الواقع السيئ، وبسببه يلجأ نجيب باشا إلى تحسين حياته بتكوين منزل صغير في جاردن سيتي أرقي أحياء القاهرة حيث يتزوج عرفياً من توحيده هانم وهي سيدة مصرية ذات حسن وجمال، ومساحة الفكر والثقافة لديها ممتازة، كان يتردد عليها عندما يحضر إلى القاهرة في دورات انعقاد البرلمان أو عندما يحضر لمتابعة سباق الخيل، أو عندما يقابل نهاد شريف باشا في جروبي ويعطيه ما يحتاجه الثوار، كل ذلك خلسة واتقاء نفوذ أسرة زوجته التركية.

يتوفى نجيب باشا بأحد الأمراض الفجائية، وتتعرض توحيده هانم لسطوة عبد الرحيم باشا شقيق نجيب باشا، والذي يهددها بذبح ابنتها لو طلبت بحقها في الميراث، فقد بعث نجيب باشا لزوجته خطابا قبل وفاته أوضح فيه اعترافا رسمياً بأبوته لأبنته وانه قد أوصى لها بميراث شرعي قدره (200فدان) من أجود الأراضي بعزبة أولاد حمزاوي

وسجل بيع هذا الميراث بمأمورية الشهر العقاري، وأرفق داخل الخطاب عقد البيع المسجل، لكن تتعرض لجهاز حكومي فاسد يصادر على وجودها فتشترى الأمن بالجبن وتتجنب الموت بالصمت، تقوم على تربية ابنتها نادية بعد أن اتفق معها عبد الرحيم باشا بأنه سيتولى الإنفاق عليها كما كان يفعل أخيه المتوفى رغما أن شقيقه قد اعترف له على فراش المرض بقصة ابنته نادية وأوصاه بحقها في الميراث، إلا انه كان من الإقطاعيين الذين لا هم لهم إلا امتلاك أكبر مساحة من الأراضي الزراعية وحيازة أكبر عدد من الأفدنة.

***

كبرت نادية وبدت مزهوة بنفسها، واثقة من جمالها، فكانت تترك شعرها مسدلاً على كتفيها في نصفين، أحدهما خلفي والأخر على الصدر يتدلى، كأنما هناك ستار تخفي خلفها نهداً نافراً متمرداً، عيونها سوداء واسعة، وأهدابها طويلة، وحاجباها مازالا بكراً، لها أنف صغير، وفم باسم، وشفتان مملوءتان نوعا، ولهما لون الورد الطبيعي، أما وجنتاها فمكتنزتان بعض الشيء، وفي لون زهر الورد قبل أن يكتمل نضجه، لها ردفان مملوءتان، يكاد موقعهما أن يكون في غاية التناسب، وكانت هزاتهما طبيعية في غير كلفة، ولا تصنع مثلما تفعل بنات اليوم أحيانا، تبدو إذن كتحفة رائعة وسط مجتمع جنسها، وتستمر نادية في دراستها حتى تبلغ الثامنة عشر وتحصل على شهادة البكالوريا من مدرسة الليسة فرنسية، وعاشت داخل حمى سياسية تجتاح البلاد منذ عام 1919م وتختلط بالدم واللحم في تكوين

الأجيال الجديدة، لكنها كانت محصنة ضد السلبيات بفعل الوجود في ظل القهر، غير أن المد الثوري ثوب شبابها.

في يوم الثلاثاء 7 يناير 1941م أثنـاء وجودها في شرفة المنزل المطل على شارع القصر العيني تمر مظاهرة كبيرة وكانت تشاهدها فتصاب بالعدوى حين ترى الراية تسقط من يد شاب أصابه رصاص الإنجليز، إنه صحيح في بدنه، وملامحه التي تظهر تنم عن رجولة مبكرة، استطاعت كفتاة أن تدرك كل هذا في بضع دقائق، فتهرول لتنقذ الشاب فؤاد همام وتدخل حياته، وهو طالب طب، لا يشغله إلا قضية بلده ضد الاستعمار، ثوري، مناضل سياسي، مكون تنظيمات، مثير شغب ضد الإنجليز، له ماض حافل بالفقر والعظمة، يكلف بمأمورية فدائية خطيرة، فأصرت نادية التي تخلق وجودها الحقيقي علـى يديـه أن تتـزوجـه قبـل أداء المأمورية، ويتم الأمر، ويحضر عقد القران المحاميان فاروق المواردي ومحمود العيسوي والمهندس على عيد ويشهد على عقد القران فاروق ومحمود ، وعندما ذكر اسم والدها للمأذون نظر فاروق إلى محمود وعلي ولم يقدر على النطق، وتذكر الراحل نجيب باشا الحمزاوي النائب عن دائرة أسيوط، والذي كان يمدهم بما يحتاجون إليه، إلا أن محمود بادر بقوله هامسا له :

ـ يمكن تشابه أسماء يا فاروق.

ـ أكيد لأن أولاد الباشوات يعيشون في ترف شديد.

ويتزوجها فؤاد على أن يعلن هذا الزواج فيما بعد.

بعد عدة شهور يقبض عليه البوليس السياسي بعد عملية نسف مخزن الذخيرة للقوات البريطانية بالعباسية، ويودع في السجن ويعذب حتى يعترف على زملائه، لكن فؤاد لا يعترف بأي كلمة، كل هذا من أجل ابنه الذي أودعه في أحشاء نادية التي يتأزم موقفها و تخفيه عن أمها ولا يعرف به أحد سوى فاروق ومحمود وعلى خلفاء فؤاد، ضمير النبض الثوري ضد الإنجليز .

***

أرسل الثوار فاروق المواردي و محمود العيسوي وعلي عيد برقية تهنئة في مارس 1941م إلى السيد رشيد غالي الكيلاني، عندما قام بثورة في العراق ضد الاحتلال البريطاني، وأثناء ذلك نفذ تشكيل بعض الضباط الثوار ترتيب سفر الفريق عزيز المصري باشا إلى بغداد للمشاركة في ثورة رشيد الكيلاني، وإعداد جبهة عربية ضد بريطانيا من دول الشرق العربي، فقد قام التشكيل بإعداد طائرة بقيادة الطيارين حسن صبري وعبد المنعم عبد الرؤوف لتنفيذ هذه المهمة إلا أنها لم تتمكن من المضي في رحلتها، وسقطت بالقرب من قليوب .

***

(2)

في يوم الأربعاء 4 فبراير 1942م قام السفير البريطاني في تمام الساعة التاسعة مساءاً بمحاصرة قصر عابدين بآلاف الجنود البريطانيين، وطوقت الدبابات البريطانية قصر عابدين من جميع الجهات، حاصر الجنود الإنجليز أقسام البوليس في القاهرة وقطعوا الأسلاك التليفونية بين قصر عابدين والخارج، كما حاصروا الإذاعة المصرية لكي يمنعوا وصول الخبر إلى الشعب، وخير السفير البريطاني الملك فاروق بين التنازل عن العرش أو تكليف مصطفى النحاس باشا بتأليف الوزارة، ووعده الملك أنه سينفذ ما طلب، وانصرف السفير البريطاني وانتهت أزمة 4 فبراير، وحقد الملك على الإنجليز بعد هذا الحادث وتمنى انتصار الألمان عليهم في الحرب الدائرة بينهم، بعد زحف القوات الألمانية بقيادة الكولونيل رومل إلى العالمين وانتصاره على القوات البريطانية، وهاجر كثيرٌ من أهالي الإسكندرية إلى المدن المصرية.

***

وتحولت مشاعر الثوار فاروق المواردي ومحمود العيسوي وعلي عيد إلى انفجارات وقاد مظاهرة من المواطنين، وبدت تتعالى الهتافات (إلي الأمام يا روميل) يحيا جلالة الملك، واتجهت المظاهرة إلى قصر عابدين، وأعلن الملك فاروق أمام الثوار المتظاهرين انحيازه للمحور، ويؤكد ثقته المطلقة في حتمية انتصار المحور، وهزيمة بريطانيا وحلفائها.

وبدأ الملك بالاتصال بهتلر بهدف إخراج القوات البريطانية من مصر، وأصدر هتلر تعليمات خاصة لوزارة الخارجية الألمانية بتكثيف الاتصال بالملك فاروق وطمأنه، وأصدرت تعليمات إلى روميل بأن يجعل أول أهدافه حماية الملك فاروق وتأمين حياته بحيث لا يأسره البريطانيون، أو يرغمونه على الانسحاب معهم بعد الهزيمة.

وضغط هتلر على حليفه موسوليني لإصدار بيان مشترك حول المسألة المصرية، وأثناء تقدم دولتي المحور المسلحة عبر مصر، تؤكد الدولتان من جديد على احترام وتأكيد سيادة مصر واستقلالها.

في شهر يونيو 1942م وحينما تصاعدت العمليات العسكرية في الصحراء الغربية نحو الذروة وبدأ الزحف نحو الإسكندرية، بعث هتلر ورينتروب وزير الخارجية الألمانية رسالة إلى الملك فاروق يقترحان عليه الهرب سواء إلى قيادة روميل في الصحراء أو إلى جزيرة كريت، وسوف تساعده ألمانيا وتضمن سلامته، وحتى يعود مع قوات

التحرير، وحمل الرسالة (أمين زكي) قنصل مصر في إسطنبول، وحمل رد الملك الذي يشكر فيه هتلر على موقفه وعواطفه نحوه، وعلى البيان المشترك الذي صدر حول مصر، واعتذر عن اقتراح الهرب ومغادرة مصر، وجاء في الرسالة أيضا أنه قد اتفق مع ضابط وصف ضابط من سلاح الطيران ممن يثق فيهم بالتسلل جوا إلى قيادة روميل ومعهم خطط وخرائط هامة حصل عليها، ويرجو حينما يصل الضابط الطيار أن تذيع إذاعة برلين الغربية (سورة الإخلاص) وحين يصل الصف ضابط أن تذيع (سورة الفلق) ولا يعلم الملك بأنهما من الثوار.

ولم ينجح الطيار (سعودي حسين أبو علي) في الوصول إلى الخطوط الأمامية، وأسقطته المدافع الألمانية المضادة، ونجح صف الضابط (محمد رضوان)، ووصل إلى مقر قيادة روميل، ولكنه حمل رسالة خيبت أمال الألمان، تحتوي على أنهم لا يستطيعون إنقاذ البلاد ولن يحقق ذلك إلا الثوار الذي كثر عددهم من الوطنيين والجيش والبوليس، ونقل محمد رضوان إلى برلين وأذيعت (سورة الفلق) ولم تصادف آراؤه ترحيبا لدي المسئولين هناك، وأعيد إلى الجبهة لكي يعمل مع روميل ويرافق القوات في الزحف، ومنذ أذيعت (سورة الفلق) إيذانا بوصوله لم يبعث بأي رسالة إلى الملك ولم يعرف عنه شيء.

***

ولكي تكون صورة الواقع متكاملة مترابطة بعد هذه الأحداث

يزداد نشاط المخابرات البريطانية بمصر متعاونة مع البوليس السياسي في أوساط الضباط المصريين فألقى القبض على اليوزباشى محمد أنور السادات والطيار حسن عزت بتهمة الاتصال بالضابط الألماني هانز أبلر (وهو شقيق لحسن جعفر نجل المستشار صالح بك جعفر من أمه الألمانية) وكان هانز أبلر قبل الحرب يقيم في القاهرة مع زوج أمه الألمانية تحت اسم مصري هو حسين جعفر وفصل اليوزباشى محمد أنور السادات والطيار حسن عزت من الجيش، وأودعا سجن الأجانب في شهر يوليو 1942م بشارع الملكة نازلي (رمسيس حاليًا) و مكانه الآن (محطة البنزين بجوار مستشفي الهلال الأحمر).

وجاءت الأقدار بما لم يتمن أو يشته الملك فاروق، وتم الاستعداد للمعركة الحاسمة وتحددت ساعة الصفر في أكتوبر 1942م، احتشدت أفضل فرق القوات البريطانية ووضع مونتجمري خطة المعركة، وبدأ الهجوم وكان صاعقا كاسحا قصم ظهر القوات الألمانية في ضربة لم تبرأ بعدها، وكان روميل مريضا ويعالج في ألمانيا، وانقض الجيش الثامن البريطاني وفتك بالقوات التي لم تهزم من قبل، وأسر كبار قادتها وعشرات الآلاف من ضباطها وجنودها، وحينما قطع روميل فترة نقاهته وعاد واستطاع بمعجزة عسكرية أن يقوم بأبرع انسحاب في تاريخ الحرب، ولكن لم يغير من نتيجة الحرب التي ظلت هزيمة منكرة قضت على حلم (الرايخ الثالث الألماني).

وبدأت مظاهرات الثوار بقيادة فاروق ومحمود وعلي ومعهم

العمال والطلبة والجماهير تتحرك من الأزهر حيث ما زال الشيخ المراغي يتربع في منصبه، منددين بالاستعمار البريطاني، رغم الإطاحة بالقوات الألمانية في العالمين.

بعد أن قضي اليوزباشي محمد أنور السادات والطيار حسن عزت أربعة أشهر في سجن الأجانب، أودعي المعتقل السياسي بماقوسة بالقرب من المنيا في نوفمبر 1942م، وهو قصر لأحد أعيان حزب الوفد، كان قد أجره للحكومة بعدما ساءت حالته المالية فأحالته إلى معتقل، في ديسمبر 1943م صدرت الأوامر بنقلهما إلى معتقل الزيتون بالقاهرة، وهو فيلا بها حديقة كبيرة تتيح لهما فرصة الحركة أكثر من حديقة معتقل ماقوسة الصغيرة الضيقة إلا أنهما هربا من المعتقل في أكتوبر 1944م.

ومن أجل الحصول على لقمة العيش عمل محمد أنور السادات حمالا على عربة لوري كان يملكها زميله حسن عزت ، وكانت السيارة تعمل لحساب تاجر اسمه غويبة ، كان متعهدا للجيش البريطاني في الإسماعيلية ، وبعدما توقف العمل مع غويبة ، عمل ببلدة اسمها مزغونة (القريبة من مديرية الجيزة) بنقل الحجر (الدبش) من المراكب الآتية بالنيل لرصف الطريق بين القاهرة و أسوان ، كان ذلك في ديسمبر 1944م، ومع مجيء سنة 1945م انتقل إلى بلدة أبو كبير بالشرقية وعمل في مشروع شق ترعة ري، تسمي ترعة الصادي، وتم

مشروع شق الترعة فوجد نفسه مرة أخري بدون عمل، ولم يطل انتظاره، ففي بلدة سنور شرق النيل جنوب بني سويف في صعيد مصر وجد عملا في شركة مصر للمناجم والمحاجر، وكان يعمل كمقاول لنقل الرخام ، وكانت شهرته في تلك الآونة (الحاج محمد نور الدين).

***

obeikandl.com

(5)

يزداد موقف نادية تعقيداً حين تفد فردوس هانم، جارة العمر، لتطلب يدها لأحد أصدقاء ابنها مدحت شوكت، تفاجأ أمها وجارتها بأنها ترفض العريس شريف السحرتي، المتقدم لخطبتها وهو من أسرة محترمة برجوازية، محامى ناجح في أحد المصالح الحكومية مع مدحت وقد تعرف على نادية في حفل زفاف أخته مريم، والتقى نقاؤه وإنسانيته ببساطتها وحزنها الغامض فأحبها، يتشبث بها ويتوسط صديقه مره أخرى، تتدخل أمه وتؤازر أمها للضغط عليها حتى تقبله عريسًا.

تسرع نادية إلى فاروق ومحمود وعلي علها تجد عندهم حلا لمأساتها التي يعرفوا سرها أو تجد أخباراً عن زوجها الذي اختطفه الإنجليز منها، لكنها تجد كل منهما يعانى من أزمة خاصة، فأعباء العمل الوطني جسيمة، وأعباء الحياة الأسرية باهظة، مكتب فاروق المواردي الذي افتتحه للمحاماة لا يعمل لأن المظلومين فقراء، رغم ثراءه لكن العمل الوطني أخذ كل شيء منه، إلا أن عطاء الباشوات

لم ينقطع بعد وفاة نجيب باشا الحمزاوي، وتابع هذا الموضوع باهتمام شديد نهاد شريف باشا، لأنهم أحبوا الثوار لما يقومون به ضد الاستعمار البريطاني، أما محمود العيسوي (من قرية بني غريانة التابعة لمركز قويسنا منوفية، وتلقى علومه بمدرسة الأوقاف الابتدائية، ومدرسة الخديوي إسماعيل الثانوية، وقد تخرج في كلية الحقوق عام 1933م ولم يتجاوز سن العشرين، ثم التحق بقسم الدراسات العليا فحصل على دبلوم في القانون الخاص عام 1940م ودبلوم في القانون العام 1941م بتفوق، كما أعد رسالة الدكتوراه في الحقوق وكان موضوعها مركز مصر الدولي بعد إبرام معاهدة 1936م) الذي يعمل في مكتب عبد الرحمن بك الرافعي لم يهتم بعمله القانوني بقدر عنايته بعمله السياسي لا يمتلك شيئًا، أما علي عيد (من قرية محلة مرحوم غربية ، تخرج في كلية الهندسة عام 1934م) يعمل مهندسًا بورش السكة الحديد ، لا يمتلك شيئًا إلا إيراد العشرة فدادين وهو يعول أسرة أكثرها عاطل، والعيون حولهم مبثوثة، فالإنجليز قد صفوا حساباتهم مع الرؤوس الكبيرة واستقروا ولم يعد يؤرقهم سوى الشعب، والشعب في يد الثوار إذن فلا بد من القضاء عليهم حتى يتسنى للإنجليز الظفر بمصر، لكن مصر الفتاة تعمل بكل قواها بواسطة فاروق وجماعته، لأن يستقطب الشباب لتجنيده في أنبل معركة.

إذن فلا بد للإنجليز من جهاز عميل يستقطب الشباب لتجنيده في

معركة خيانة الذات، وهكذا تتنافس القوى على نيل شباب هذا الجيل، فبينما يعمل فاروق المواردي على نشر الوعي الثوري، يعمل عباس البحيري على نشر الانحلال والهزيمة، ويتنافس الحر والعميل في معركة ضارية لا ترحم بين شباب يعمل في السراديب لطبع المنشورات على مطابع البالوظة، وشباب يعمل في الملاهي والمواخير لطبع الذل على وجه مصر.

***

يشك فاروق في عباس البحيري أثر موقف متفجر حدث من مدة في حفل زفاف أخت مدحت شوكت، فيلجأ لتجنيد مدحت حتى يتأكد من حقيقة عباس زميله في العمل، وتنكشف وطنية مدحت الصادقة حين يجد فاروق مهدداً بالقبض عليه، وقد ضاقت عليه الدائرة فيخفيه عنده في منزله الكائن في ميدان الباشا بمنيل الروضة حيث يتهيأ بكل صدق للعمل الوطني وتنفيذ كل ما يطلب منه، تساعده على ذلك شخصيته المرحة التي تبعد عنه شبهة الاشتغال بالسياسة، وأيضا أمه فردوس هانم السيدة المصرية المهيبة الأصل.

يعرف عباس أن فاروق هو رئيس الجهاز الوطني، ويقرر أن يكتشف مأواه ليقدمه ذبيحة شهية لأسياده الإنجليز، ولهذا يحاول تجنيد شريف السحرتي زميله في العمل للبحث عن مكان اختفاؤه ،إلا أن شريف شاب رومانتيكي، سلبي أو يكاد، يعيش حياة قشرية، يقرأ

قليلاً، يحاول أن يكتب الشعر، محدود الاهتمامات، لكن حبه لنادية أشعل فيه شيئًا من النار، ورفضها له ضاعف الاشتعال، كان عرض عباس له مفجراً لزلزال خفي في حياته، حيث تظاهر بالموافقة على اقتراف الخيانة، ويقبض منه 500جنيه عربون البحث عن فاروق الذي اشتد عليه الطلب لأنه قلب الثورة الشعبية، ويبحث عنه ويصل إليه، لا ليسلمه إلى يهوذا بل ليعطيه الـ500 جنيه عربون الخيانة، عربونًا لمزيد من الثورة.

يدخل شريف إلى عالم فاروق المواردي، عالم حب الناس الذي يسمونه الوطنية، عالم تتحد فيه النبوة بالذكاء البشرى، إنه شاب عاطفي، والعاطفي حين يستقطب للعمل الوطني يعيش حياة (عُمرية) يتوهج في العمل التنظيمي مع فاروق يتعرف على محنة نادية، لقد قبض على حبيبها البطل فؤاد همام بعد عدة أشهر من الزواج ، وماتت أمها كمداغداة المعرفة.

***

بعد الشهور المقررة وضعت نادية ابنها من فؤاد، وفي هذه اللحظة يموت والده من كثرة التعذيب بأيدي الإنجليز ، ومات لينقذ شباب مصر من الخونة أعداء الشعب، لهذا فهو بطل، وشهيد، يتغير شريف من الداخل بعنف عظيم، فتحول إلى رجل له رسالة، بدأ يبحث عن نادية كي ينقذها من أجل ذكرى زوجها الشهيد، إلا أنها

غيرت مجرى حياتها وبدأت صفحة جديدة مع الأيام المقبلة فالتحقت بالعمل في إحدى الشركات الأجنبية عسى أن تنسى في عملها ما حدث، انتظمت في عملها بالشركة، تاركة ابنها مع جارتها حتى تعود، ارتبطت بينها وبين إحدى زميلتها وتدعى جانيت أواصر الصداقة، تشعر زميلتها بقلق ظاهر بدا واضحا على تصرفاتها وعلى شخصيتها المنطوية، وتفاتحها عدة مرات عن سبب وجومها وانطوائها ولكن دون جدوى، بمرور الأيام وبعد إلحاح شديد لم تجد بدًا من الاعتراف لها بالحقيقة، تندهش عندما تجد لها حلا لمشكلتها (بأن هناك سيدة تدعى إحسان هانم ميسورة الحال تقطن بجوارها في عمارة بشارع مصدق بالدقي تتمنى أن تتبنى طفلاً لأنها لم تنجب أطفالاً منذ زواجها) واقتنعت بأن تمنح طفلها لهذه السيدة .

***

obeikandl.com

(4)

تقرر في مؤتمر (يالتا) ألا تشترك أية دولة في مؤتمر سان فرانسيسكو الذي سوف يضع الأسس للمنظمة العالمية الجديدة (الأمم المتحدة) إلا الدول التي سوف تعلن الحرب على المحور، وكان وفد مصر مشتركًا في المؤتمر، وتقدم السفير البريطاني رسميًا بطلب إلى الحكومة المصرية بأن تعلن مصر الحرب، وعندما علم الثوار قاموا بمظاهرة كبيرة تندد بعدم قبول الدخول في أي حرب مع بريطانيا.

***

يجتمع فاروق المواردي ببعض الثوار ومن بينهم شريف السحرتي ومدحت شوكت ومحمود العيسوي وعلي عيد وخيري أبو عافية، ناقشوا الأحداث الدائرة وظلوا حتى ساعة متأخرة من الليل، ينصرف الجميع، كان هذا الاجتماع يوم الخميس 22فبراير 1945م، ظل محمود يفكر في حديث فاروق بعدم تنفيذ المهمة التي طرحت للمناقشة، إلا انه صمم على تنفيذها بمفرده.

في صباح يوم السبت 24فبراير1945م خرج محمود العيسوي من

منزله ومعه مسدس حشاه برصاصات، وقصد إلى شارع مجلس النواب الذي يقع فيه مجلس الوزراء، وهو طريق دولة ماهر باشا يوميًا إلى مقر عمله الرسمي، وسار في الشارع ذهابًا وإيابًا يراقب سيارة أحمد ماهر باشا، وفي تمام الساعة الرابعة والنصف دخل محمود مجلس النواب ولم يعترضه أحد من الحرس، وجلس بين بعض الشبان في البهو الفرعوني أمنًا مطمئنًا ،ودار بينه وبينهم حديث حول موضوع دخول الجيش المصري الحرب لمساعدة الحلفاء ومن بينهم القوات البريطانية، إلى أن قال حسين أفندي عباس أحد الجالسين :

ـ إن دولة ماهر باشا راجل واسع الصدر وسوف يناقش هذا الموضوع مع السادة النواب . . ويمر الآن بالبهو ذاهبًا إلى مجلس الشيوخ .

وبعد أن سمع هذه العبارة اطمأن لنجاح خطته، وانتظر .

وأثناء ذلك كان البرلمان منعقداً في جلسة سرية في مساء اليوم ليلقي رئيس الوزراء أحمد ماهر باشا بيان حول دخول الجيش المصري الحرب مع بريطانيا، وحينما فرغ من البيان في مجلس النواب أنتقل إلى مجلس الشيوخ لنفس الغرض وبعد قليل خرج دولة ماهر باشا يقطع الردهة قاصداً قاعة الشيوخ، وما كاد يصل إلى البهو الفرعوني تقدم إلية اثنان من مصوري إحدى المجلات الأسبوعية هما عبده أفندي خليل وأحمد أفندي سليمان وإلتمسا من دولته التوقف قليلاً لالتقاط صور فوتوغرافية، وكان نحو أربعة أشخاص جالسين عند هذا المكان في اتجاه

البهو الفرعوني، فلما شاهدوا أحمد ماهر باشا نهضوا وأحاط به بعضهم للتحدث معه، عندئذ قام محمود العيسوي وتقدم نحوه وفي مواجهته وكان على بعد عشرين سنتيمتراً وأطلق عليه أربع رصاصات، سقط على أثرها على الأرض ثم استند على إحدى يديه وأمسك باليد الأخرى الجاني، ثم خانته قواه فسقط على أثرها مرة ثانية على الأرض.

عندئذ تقدم سعد اللبان عضو البرلمان من القاتل منتزعًا من يده مسدسه، وقبض عليه كامل الدماطي مدير مكتب وزير الداخلية، وكان الصاغ إسماعيل أبو العزم من قوة حرس البرلمان يسير خلف رئيس الوزراء فأصيب في ساقه، وفي هذه اللحظة تم اعتقال الأشخاص الآخرون الذين كانوا يحيطون برئيس الوزراء.

ونقل أحمد ماهر باشا على أثر ذلك إلى غرفة الإسعاف الملحقة بمجلس الشيوخ، وتولى عملية إسعافه أولاً الدكتور حلمي الجيار ثم انضم إلية بسرعة الدكاترة على باشا إبراهيم ومسيو دينيه وعبد الله الكاتب ومحمود سامي مراد والمنياوي باشا، ولم تفلح الإسعافات حيث نفذت إرادة الله وتوفى أحمد ماهر باشا بعد نصف ساعة.

وكانت ابنة رئيس الوزراء قد وصلت إلى المجلس لرؤية أبيها، وكان الملك فاروق وقتها قد توجه هو الأخر إلى البرلمان لزيارة الفقيد، فلما علم أنه نقل إلى منزله في شارع الملك بحي حدائق القبة، ذهب إلى

هناك وكان في صحبته ياوره الخاص عبد الله النجومي باشا، وكانت نهاية أليمة بعد أربعين يومًا من تشكيل الوزارة، وكان الحدث إنذاراً على مدي السخط والرفض لأي استجابة لبريطانيا، وأحيل محمود العيسوي إلى محكمة الجنايات، وتباشر النيابة التحقيق معه، وظل صامداً ولم يعترف على أحد من الثوار وتحمل المسئولية وحده.

وبعد الانتهاء من التحقيق تم تحويله إلى محكمة عسكرية، وقد حضرها والده ووالدته، وترأس الجلسة القاضي محمود منصور بك، ومثل النيابة فيها عبد الرحمن الطوير باشا النائب العام، وكان يدافع عنه علي بك بدوي المحامي الذي دافع في هذه الجلسة بعدم اختصاص المحكمة، ثم نودي على المتهم محمود الجالس في قفص الاتهام فوقف وأجاب:

ـ عمري 26 سنة.. وصناعتي محام.. ومولود في مصر.. والدعوى التي قدمت للمحكمة باعتبارها محكمة عسكرية اعتماداً على المادة (4) من الأمر العسكري رقم 389.. والتي تقرر أنه إذا وجد ارتباط بين عدة جرائم بعضها عسكري وبعضها مدني فإنها تقدم جميعها إلى المحكمة العسكرية.

وفي جلسة اليوم التالي نودي على المتهم وتلا كاتب الجلسة قرار الاتهام، حيث وجهت إليه أربع تهم هي: قتل دولة ماهر باشا مع سبق الإصرار والترصد، والشروع في قتل الصاغ إسماعيل أبو العزم أفندي مع سبق الإصرار والترصد، والشروع في قتل سعد اللبان مع

سبق الإصرار والترصد، وإحراز سلاح ناري ومعه ذخيرة، ويقف النائب العام مطالبًا بتطبيق المواد الخاصة بنظم الأحكام العرفية.

وفي الجلسات التالية بدأت المحكمة في الاستماع إلى الشهود، وطلب محمود العيسوي شهادة النقراشي باشا رئيس الحكومة، وقد أيده في هذا الطلب المحامي علي بك بدوي، واستغرقت محاكمته أربعة عشر يومًا، حيث نطقت المحكمة بالحكم وأحالت الأوراق إلى فضيلة المفتي، ولم ينعم في حياته لا بزوجة ولا أولاد.

***

وقامت الجامعة العربية وأصبحت واقعًا قائمًا منذ توقيع ميثاقها في سراي الزعفران (جامعة عين شمس بالعباسية حاليًا) يوم الخميس 22 مارس 1945م، (واختير عبد الرحمن عزام باشا أمينًا عامًا للجامعة بالإجماع) ولكنها وإن كانت صدي لمشاعر الشعوب العربية وتطلعها إلى تحقيق وحدتها التاريخية، فإنها لم تكن على نفس المستوى من أحاسيس النظم القائمة بالحكم في الدول العربية السبع التي اشتركت في توقيع الميثاق.

***

ظل شريف يبحث عن نادية، وعندما عثر عليها أخبرته بأنها تنازلت عن وحيدها إلى سيدة ميسورة الحال لم تنجب أطفالاً حتى لا يكون عقبة لعملها بالشركة، ويحاول أن يختطفها من يد اليأس، فيأخذها لاسترداد نصيبها من الحاضر، ابنها مجدي، ابن الشهيد فؤاد

همام، لكنهما يخيبان لأن السيدة سافرت هي وزوجها إلى أوروبا ومعهما الطفل، ويعودان وهما في أشد حالات الحزن، ويحاول أن يسلك الطرق القانونية لاسترداد نصيبها من الماضي، ميراثها، لكنه يرتطم بالنظام الظالم الذي يتســاند للدفاع عن نفسه دفاعًا شرسًا، وهنا يتأكد أنه لا يوجد سوى طريق واحد لإنقاذ الحياة، فيصفى أملاكه ويمنح نصفًا لنادية لتعيش منه بعد ما تركت العمل بالشركة، والنصف الآخر للتنظيم، ويدفن حبه، فالحب ليس متاحًا في وجود الظلم، ويتفرغ للعمل الوطني ويزداد ضراوة.

***

بانتهاء الحرب العالمية الثانية سقطت الأحكام العرفية في سبتمبر 1945م فخرج محمد أنور السادات (الضابط سابقا) إلى الحياة، فبسقوط الأحكام العرفية أو ما يسمى (قانون الطوارئ) يسقط حق الاعتقال، وهذه ميزة سيادة القانون، واتصل بعمر أبو علي شقيق زميله الطيار سعودي حسين أبو علي (الذي أسقطت طائرته قوات روميل وهو ذاهب إليهم بأمر الملك)، وعرَّفه بالثوار، فاروق المواردي، شريف السحرتي، حسين توفيق، عبد العزيز خميس، مدحت شوكت، علي عيد وخيري أبو عافية وآخرين، ودربهم على استعمال القنابل اليدوية في جبل المقطم، وأطلقوا عليه اسم (أبو الحجاج).

***

يتوج شريف جهوده الوطنية مع الثوار بتنظيم حركة المقاومة

المسلحة ضد الإنجليز، طوال هذه المدة وعلاقته بنادية معقدة مكثفة، فهو يحبها كأنثى ولكنه يتظاهر بحبها كرمز، وهي تحبه كرمز فقط، لكنها تكتشف بالمعايشة ضرورة حبه كرجل، هنا يلتقيان في لحظة صدق ونقاء، ويتزوجا بعد أربع سنوات من الصبر والنضال احتملها ليكون جديراً بها، ويرتفع إلى مستوى الشهيد فؤاد همام، وتعترف نادية لزوجها شريف وفاروق ومدحت وعلي وخيري أنها ابنة المرحوم نجيب باشا الحمزاوي، وتذكر فاروق القطب الكبير عضو مجلس النواب الذي كان يمدهم بالمال عن طريق نهاد شريف باشا ورحل منذ عدة سنوات بعد أن ترك وديعة في البنك تقدر بـ 250 ألف جنيه باسمه لأنه زعيم الثوار للصرف منها على نشاطهم ضد الإنجليز، وازدادت غلاوة عندهم.

***

obeikandl.com

(5)

يجتمع الثوار فاروق المواردي، شريف السحرتي، مدحت شوكت، محمد أنور السادات، حسين توفيق، عمر أبو علي، محمد كامل، عبد العزيز خميس، مدحت فخري، وسيم خالد، علي عيد وخيري أبو عافيه وآخرين في مقهى (متاتيا) بميدان العتبة الخضراء لأنه المكان المفضل الذي كـــانوا يعقدون فيه أغلب الاجتماعات، فقد كان لهذا المقهى منذ عام 1945م ذكرى خاصة، لارتباطها بالأحداث، وكانوا يلتقون ويفكرون في تحرير بلدهم من وباء الاحتلال والطاعون الذي استشرى في جنبات الوادي على شكل جماعات جنود الإنجليز، وأصحاب العيون الزرقاء والشعور الشقراء، وكانت العتبة الخضراء قرة عين العاصمة في ذلك الوقت، وأوسط مكان يلتقون فيه، وقد أطلق محمد أنور السادات على هذا المقهى (مقهى ميونيخ) تشبهًا بالمقهى الشهير الذي كان يجتمع فيه هتلر مع رفاقه من منشئي النازية، ومن باب الاحتياط كانوا يغيرون مكان الاجتماع بقصد إبعاد أنظار البوليس السياسي، فكانوا يلتقون أحيانًا في ملهى بديعة وهو الآن

موقع فندق (شيراتون الحالي) أو في مقهى رضوان أول شارع الأمير فاروق (الجيش حاليًا) أو في مقهى قشتمر القريبة من ميدان الظاهر وشارع الجيش (أمام سينما مصر) أو فى مقهى إسترا بميدان الإسماعيلية (مطعم هارديز بالتحرير حاليًا) واجتمعوا في المقهى وقرروا التخلص من أمين عثمان باشا لأنه كون حزب سياسي أطلق عليه اسم (رابطة النهضة) واتخذ لها مقراً بالشقة الخاصة بنادي كلية فكتوريا البريطانية وكان مقره في شارع عدلي بالقاهرة، و كانت لها ستة مبادئ أساسية ينص المبدأ الثاني على أننا مرتبطون ارتباطًا حتميًا، فقد أعلن أن مصر وإنجلترا قد تزوجا زواجًا كاثوليكيًا، فلو تركتنا هي علينا أن لا نتركها، هذا التصريح كان بمثابة حكم الإعدام عليه.

وفي تمام الساعة السادسة والنصف من مساء يوم السبت 5يناير1946م والقاهرة متلألئة بالأنوار ومشغولة بإقامة أقواس النصر استعدادا لاستقبال الملك عبد العزيز آل سعود عاهل المملكة العربية السعودية في زيارة رسمية للملك فاروق يوم الجمعة 11 يناير 1946م، وعلى بعد أمتار معدودة من ميدان الأوبرا، وأمام العمارة رقم 14بشارع عدلي باشا الذي بها مقر الحزب ، وقفت سيارة أجرة ونزل منها أمين عثمان باشا عميل الإنجليز، وبدأ يصعد الدرجات الأولى من السلم الذي ينتهي إلى مصعد العمارة، و قبل أن يصل إلى المصعد ناداه حسين توفيق :

ـ يا أمين باشا . . يا أمين باشا . .

والتفت إليه أمين عثمان باشا، فأطلق عليه حسين ثلاث رصاصات أردته يتخبط بدمائه بينما علا صراخه فملأ الجو، ولفت الأنظار وتجمهر الناس من كل ناحية، وأخذ يتتبعون حسين الذي مضى، وأشار بعض المارة إليه صائحين :

ـ حرامي . . امسك حرامي .

وفاجأهم بمسدس أبرزه من جيبه وأخذ يطلق منه طلقات في الهواء لكي يمنع المطاردين من أن يلحقوا به، وبالرغم من ذلك مضت المطاردة على أشدها، وأخرج قنبلة يدوية من جيبه الآخر وألقاها لتسقط داخل سور دار الأوبرا، على بعد خطوات من شارع البيدق، وأصاب الذعر جموع المطاردين فكفوا عن تتبع هذا المغامر .

***

وبدأ رجال الأمن وعلى رأسهم رجال البوليس السياسي بإشراف حكمدار القاهرة الإنجليزي (راسل باشا) لكشف أسرار الحادث، والقبض على القاتل وشركاه، وتقدم عبد العزيز الشافعي المهندس السابق بوزارة المواصلات إلى قسم عابدين ببلاغ إلى الضابط نجيب بسيوني بأنه عضو في رابطة النهضة، وأنه لاحظ قبل وقوع الحادث بعشر دقائق شخصًا يقف بجوار شجرة تقع على مقربة من دار الرابطة، وقد لاحظ وجود هذا الشخص قبل ذلك اليوم عدة مرات،

وأنه يعرفه فهو حسين توفيق أحمد نجل وكيل وزارة المواصلات، واتجهت شبهات البوليس السياسي نحو حسين توفيق، وفي نفس الليلة أصدر النائب العام أمراً باعتقاله وتفتيش منزله، وتوجه كامل القاويش وكيل النيابة وبرفقته القائمقام محمد إبراهيم إمام والصاغان محمد الجزار ومحمد توفيق السعيد من ضباط القسم السياسي إلى المنزل بعد وقوع الحادث بثلاث ساعات، وجدوه جالساً على مائدة العشاء مع والده محمود توفيق أحمد باشا وكيل وزارة المواصلات، ووالدته وشقيقه الوحيد سعيد، واستأذنت القوة في تفتيش البيت، واستأذن أيضًا في السماح لهم باصطحاب حسين وسعيد لمدة نصف ساعة، وقد طالت النصف ساعة إلى سنين، وتحدد مستقبل حسين وشقيقه سعيد منذ اللحظة التي ألقى القبض عليهما.

وألقي بحسين توفيق في سجن التخشيبة بمبنى محافظة القاهرة القديم، وبدأ يمارس وهو ابن الباشا المدلل المرفه تجربة جديدة ولونًا قاسيًا من ألوان المعاناة والإرهاق، وأحس لأول مرة بالدنيا تسود أمام ناظريه، وبالموت يطبق على أنفاسه بين جدران أربعة ذكرته بجدران القبر، وزاد الطين بلة تلك الأصوات الرهيبة الصارخة بالألم والعذاب التي أخذت تتصاعد لتملأ فراغ القبر الذي أودع فيه، ويملأ صداها كل نسمة هواء داخل ذلك المكان الموحش الكئيب، وهي أصوات تعذيب المجرمين الذين أوقعهم سوء طالعهم بين أيدي رجال البوليس، وكانت النتيجة الطبيعية المتوقعة من شخص له تربية ونشأة

حسين توفيق بالإضافة إلى شخصيته السيكوباتية المعتلة، هي الانهيار والاستسلام، وكم كان غريبًا أن يصرخ البطل المغوار الذي هز مصر بفعلته الجريئة طالبًا استدعاء أي محقق لكي يتحدث معه !! وكانت مفاجأة لوكيل النيابة النوبتجي في تلك الليلة (محمد صدقي البشبيشي) هي اعتراف حسين توفيق التلقائي بقتل أمين عثمان باشا، وبدأت أجهزة الدولة التي ترنحت أثر مفاجأة قتل الباشا تنشط وتتسابق لإثبات حيويتها ومقدرتها.

وكان البوليس السياسي يجمع التحريات ويطلب القبض على كل من يشتبه في صلته بحسين توفيق من قريب أو بعيد، والنائب يجند فرقة من وكلاء النيابة ورؤسائها للتحقيق، والحكومة برئاسة محمود فهمي باشا النقراشي تتنفس الصعداء بعد أن وضعت يدها على قاتل أمين عثمان باشا، فلا حرج اليوم أمام السفارة البريطانية التي هزتها المفاجأة.

وتم القبض على محمد كامل (ابن خالة حسين توفيق) ومحمد أنور السادات في بيته بكوبري القبة الساعة الثانية صباحا يوم السبت12 يناير 1946م ولم يكن هذه المرة الإنجليز، بل قوة من البوليس المصري ومعهم وكيل النيابة، وقال لهم:

ـ هل معكم أمر من النيابة بالتفتيش؟

وتحدث وكيل النيابة كامل قاويش بقوة:

ـ نعم أنا هنا بنفسي . . وأنا بنفسي الذي أحقق قضية اغتيال أمين عثمان باشا .

وفهم أنه هو الذي نصب الكمين لحسين توفيق، واضطره إلى الاعتراف، وفتشوا البيت حجرة حجرة، وبعد التفتيش تلقفه رجال البوليس السياسي بلهفة وشوق، فقد سبق أن دوخهم خلال مطاردتهم له بعد فراره من المعتقل السياسي، ودخل سجن الأجانب كما حدث في سنة 1942م، وكذلك تم القبض على شريف السحرتي، عبد العزيز خميس، وسيم خالد، عمر أبو علي، مدحت فخري، محمود الجوهري، محمود مراد، محمود عبد الكريم، مجدي أبو سعدة، عباس المرشدي، نجيب فخري، محجوب علي، عبدالفتاح الشافعي، مصطفى حبيشة، عبد الفتاح مسعود، سعد كامل، عبد الهادي مسعود وستة من زملائهم وأودعوا معه في نفس السجن كل في حجرة منفردة، إلا أن فاروق المواردي ومدحت شوكت وعلي عيد وخيري أبو عافيه هربوا قبل أن يقبض عليهم البوليس السياسي ويساعدهم نهاد شريف باشا بواسطة الرجال الذين يعملون عنده في قصره بالمريوطية بالهرم، ومكثوا عنده لفترة بعيداً عن أعين البوليس السياسي، ووكل نهاد باشا أكبر المحامين للدفاع عن الثوار، وكان لا يتخلف عن حضور جلسات المحاكمة، و يعتبر نفسه مسئولا عنهم، ولذلك أطلقوا عليه الباشا أبو الثوار .

***

وأثناء المحاكمة تمكن حسين توفيق المتهم الأول في القضية من الهرب، وتوتر الجو الربيعي الذي ساد العلاقات بين أطراف القضية في أعقاب تنحية ممثل النيابة كامل القاويش عن كرسيه بعد استدعائه للشهادة أمام المحكمة وسؤاله عن بعض تصرفات شابت سير التحقيق، وجلس الأستاذ أنور حبيب محله على كرسي النيابة، وتوتر الجو بين كافة الأطراف المتصلة بالقضية وهي المحكمة والنيابة العامة ورجال الأمن وأخيراً المتهمون في القضية، وكان أبرز علامات التوتر ألقاه رجال البوليس لتبعية هروب المتهم الأول على النيابة العامة لأنها صرحت له بالعلاج لدى طبيبه الخاص مما ترتب عليه فراره خلال توجهه من السجن إلى هذا الطبيب، بينما ردت النيابة العامة على ذلك، بأن رجال الأمن يحاولون التنصل من مسئولية الإهمال الذي ارتكبه ضابط البوليس ورجال الحراسة بتجاوزهم عن (مأموريتهم) ومصاحبتهم المتهم الأول إلى منزله بدلاً من الرجوع به إلى السجن فور انتهاء عرضه على طبيبه الخاص، وذلك بإرجاع المسئولية إلى تصريح النيابة للمتهمين عامة، وليس للمتهم الأول وحده بالعلاج، وبعدما أدرك وكيل النيابة خطورة ما يحدث تخلص من محمد أنور السادات وأبعده عن بقية الثوار حتى لا يؤثر عليهم ويغير مسار القضية، وأمر بنقله إلى سجن قرة ميدان (سجن مصر العمومي) حيث أودع الزنزانة 54، ونقلوا بعد ذلك الثوار المتهمين في القضية إلى سجن قرة ميدان، كل في زنزانة منفردة.

***

obeikandl.com

(6)

وقع حادث كوبري عباس يوم السبت 9فبراير 1946م، في هذا اليوم قاد فاروق المواردي و مدحت شوكت وعلي عيد وخيري أبو عافية مظاهرة من العمال واتجه إلى جامعة القاهرة، وخرج طلاب كلية الآداب واتجهوا إلى ميدان الجيزة لكي يتجهوا منه إلى كوبري عباس ويعبروه إلى طلاب كلية الطب بالقصر العيني، وفوجئ الجميع بأن الكوبري مفتوح في غير موعده ولا يسمح بالمرور، واندفع بعض طلبة الهندسة إلى غرفة الآلات أسفله وأعادوه للعمل، وعبر العمال والطلبة وقد التهب حماسهما وفوجئوا مرة أخرى بقوات مكثفة من البوليس تنتظرهم على الضفة الأخرى بالخوذات والهراوات والبنادق وبقيادة كبار الضباط الإنجليز في البوليس المصري، ولم يدعوا لهم فرصة للتفاهم وانقضوا في قسوة تجاوزت كل الحدود، وتساقط المصابون والجرحى وتراجع البعض محاولين الارتداد، ولكنهم فوجئوا بقوات استدعيت على عجل وحاصرتهم وصبت عليهم نفس القمع والبطش على الجهة الأخرى، واستفزت (الموقعة) سكان الحي وهالهم

ما حدث ونزلوا على الفور لنجدة العمال والطلبة لإسعافهم وإخفائهم من البوليس الذي كان يتعقبهم، ونقل الجرحى والمصابين إلى المستشفيات وتوفى أحدهم بمجرد وصوله.

وذاعت أنباء (مذبحة كوبري عباس) وسرت في أرجاء البلاد وتفجر السخط والغضب المكظوم، ولم يملك الجميع سوي الخروج إلى الشوارع تعاطفًا مع العمال والطلبة، وهرعت قوات البوليس وانتشرت في كل أرجاء العاصمة تفرق التجمعات، وفي اليوم التالي كانت المظاهرات شملت المدن الصغرى والكبرى القاهرة والإسكندرية وأسيوط والزقازيق والمنصورة، ونشب الصدام داميًا بوقوع الضحايا والمصابين، وكثر الاعتقال منهم، وتم ذلك في حكومة محمود فهمي باشا النقراشي.

وفي يوم الاثنين 11 فبراير 1946م، احتفل بعيد ميلاد الملك فاروق السادس والعشرين، وطبعت بطاقات الدعوات كي يشارك طلاب الجامعات وإلقاء الخطب بمناسبة هذا الاحتفال، لكن حركة الطلاب والثوار ومن بينهم فاروق ومدحت وعلي وخيري لم يشاركوا في هذا الاحتفال بسبب حادث كوبري عباس الذي لم يمر عليه إلا يوم واحد.

***

واقتحمت (مذبحة كوبري عباس) مجلس الوزراء والبرلمان وأثارت

عاصفة مما جعل جلالة الملك يستدعي محمود فهمي باشا النقراشي رئيس الوزراء ليخطره بضرورة تقديم استقالته، وفعل على الفور، وبدأ البحث عن رئيس وزارة خلفًا لوزارة النقراشي باشا، وعهد بالمهمة إلى إسماعيل صدقي باشا، وبدأت الوزارة الجديدة العمل بمحاولة للتهدئة، واستبسل رئيسها في التقرب إلى الجماهير، والعمال والطلبة وخاصة الثوار، ولم يخدع دولته أحدًا أو يرهبه، ولهذا تقررت المواجهة بإعلان إضراب شامل تحدد له يوم الخميس 21فبراير1946م في أرجاء كل البلاد، وتدعيمًا لوحدة الصفوف اتفق الثوار فاروق المواردي ومدحت شوكت وعلي عيد و خيري أبو عافيه مع العمال والطلبة على تنسيق القيادة، وترشيد الإضرابات والمظاهرات، ولكن فوجئوا بجموع المتظاهرين في ميدان الإسماعيلية (التحرير حاليًا) بسيارات بريطانية عسكرية تقتحم الصفوف وتطلق النيران بلا تمييز في كل اتجاه وتساقط القتلى والجرحى، وساد الذعر وتفرق المتظاهرون وتم اعتقال فاروق وبعض زملائه، أما مدحت وخيري فقد هربا كعادتهما، واستشهد علي عيد وكان من ضمن 23 شهيدًا ، كان من بينهم صبي صغير لم يتجاوز الثانية عشرة وبلغ عدد الجرحى 123 جريحًا، وكان الباشوات ومعهم نهاد شريف باشا يقومون على رعاية أسر الشهداء والجرحى من الثوار.

***

وانفجرت مظاهرات الثوار بقيادة مدحت شوكت وخيري أبو

عافية بعد اعتقال فاروق المواردي واستشهاد علي عيد، لخداع إسماعيل باشا وتضليله للشعب ولم يهدأ الثوار حتى قدم استقالته ولم يملك صاحب الجلالة سوى قبولها، وكان الفشل محتومًا، بين حكومة بريطانيا التي تنكرت لكل مبادئها وبرامجها وحكومة مصرية غير شرعية لا تمثل أحدًا، ولم يخرج صدقي باشا من الوزارة فقط، ولكن من الحياة السياسية نهائيًا، ودارت الحلقة المفرغة دورة أخرى وعاد محمود فهمي باشا النقراشي رئيس الوزارة الجديدة بعد أن وقع عليه اختيار الملك فاروق.

***

obeikandl.com

(7)

يزداد مدحت شوكت وخيري أبو عافية استبسالاً بعد ما قبض على شريف السحرتي وزملائهم في قضية مقتل أمين عثمان باشا، واعتقال فاروق المواردي واستشهاد علي عيد، فقادا حركة المقاومة ونظما صفوف الثوار، وقاد مظاهرة كبيرة من العمال والطلبة يوم الأحد 19 يناير 1947م، وبهت البريطانيون من عمق الوعي والارتباط بوحدة وادي النيل لدي المصريين، وأقلع محمود فهمي باشا النقراشي عن تصريحاته حول استئناف المفاوضات، وبدأ البحث عن طريق أخر، وأدرك البريطانيون بدورهم أن لا مناص من بعض التنازلات.

وأعلنت بريطانيا عن برنامج واسع للجلاء عن القلعة وكانت أول موقع احتلته قواتها أثناء دخولها القاهرة يوم الجمعة 15 سبتمبر 1882م، وعن القاهرة والإسكندرية ومعظم مناطق الدلتا، ونقل قواتها إلى منطقة القناة استجابة للمشاعر والمطالب الوطنية، وتعبيراً عن حسن نواياها.

وهللت الدوائر الملكية والحكومة والثوار، واعتبرت ذلك نصراً وطنيًا كبيراً، وتقرر أن يقام احتفال كبير (مهيب) ليقوم الملك فاروق برفع العلم المصري على قلعة جده الكبير محمد على باشا، وكذلك على أول الثكنات وأقدمها في قصر النيل، وقرر الملك لأول مرة في تقاليد القصر أن يوفد مندوبًا يضع إكليلا من الورد على قبر أحمد عرابي باشا، وقبر مصطفى كامل باشا، وقبر سعد زغلول باشا، وباقة خاصة على النصب التذكاري لشهداء الجامعة، بل وسوف يعيد بناءه ليصبح لائقًا بالرمز الذي يعبر عنه.

***

obeikandl.com

(8)

بدأ اليهود الحرب قبل أن تعلن بريطانيا نهاية انتدابها على فلسطين، حين اقتحمت العصابات الصهيونية قرية (دير يسن) يوم الجمعة 9 أبريل 1948م، وذبحت نسائها وأطفالها وشيوخها العزل مائتين وخمسين، وقد وصفها (جون كميش) بأنها بقعة سوداء في تاريخ اليهود، وهذه المذبحة حملت العرب على الفرار الأليم، ويصف المؤرخ البريطاني (أرنولد توينبي) مذبحه دير يسن بأنها (لا تقل عن جرائم النازي ضد اليهود) ويراها مناحم بيجين السفاح الذي قاد العملية (أن المذبحة ليست عادلة فحسب، ولكن ما كان لدولة إسرائيل أن تقوم دون هذا النصر في دير يسن).

ولم يكتف اليهود بالمذبحة وإنما راحوا ينذرون في مكبرات الصوت وفي كل المدن (كل من لا يرحل، وكل من لا يترك القدس من العرب فمصيره القتل) ويصف الصحفي اليهودي (وليم زكرمان) الوضع في فلسطين، وفرار العرب من فلسطين هو ما أدى إلى مشكلة اللاجئين، وكانت مذبحة دير يسن صورة لمأساة هزت ضمير العالم، وأن لم تثمر

شيئًا أمام الأمر الواقع والدعاية الصهيونية البارعة، فضلاً عن موقف أمريكا وإنجلترا المخزي.

وعندما سمع مدحت شوكت وخيري أبو عافية عن هذه المذبحة طار صوابهمًا وأرسلاً كثيراً من الثوار كدفعة أولى للسفر من مصر إلى بلد المسجد الأقصى، وكذلك انضم الثوار من جماعة الإخوان المسلمين إلى صفوف هؤلاء الثوار ليعاونوا الفلسطينيين للدفاع عن وطنهم، وانضم إليهم الثوار من جماعة مصر الفتاة وقادهم رئيسهم أحمد حسين المحامى وألحق معهم الثوار من ضباط الجيش المصري وعلى رأسهم القائمقام أحمد عبد العزيز، وكلهم يستقيلون من الجيش ليدربوا الثوار على مختلف الأسلحة ليشاركوا في المعركة ضد اليهود.

وخلال مدة وجيزة كان الثوار قد كبدوا الإسرائيليين خسارة ألف ومائتي قتيل وجريح، فضلاً عن الخسائر الفادحة في الأسلحة والمؤسسات، وبدا مؤكداً أن الصراع العربي اليهودي قد وصل ذروته بنجاح الثوار في حصارهم وشل المستوطنات اليهودية ومواصلة حرب استنزاف مريرة ضدهم.

***

وتصاعد الهلع واستنفرت الحركة الصهيونية يهود العالم، وأعلن ابن جوريون (أن لا مناص من معجزة لردع هؤلاء الثوار وإلا تبدد أي أمل في إقامة الدولة اليهودية) واستجاب يهود العالم لنداء ابن

جوريون، وتدفق سيل عارم من المتطوعين معظمهم ممن تمرسوا بالحرب في جيوش الحلفاء، أو بحرب العصابات في منظمات المقاومة، وتدفق سيل من أحدث الأسلحة من ترسانات الغرب والشرق معا، ومال الميزان في الناحية الأخرى.

وكانت نهاية الانتداب البريطاني على فلسطين، حتى أعلن اليهود قيام دولتهم في فلسطين، واعترف بقيامها كل من طرفي الحرب الباردة، أمريكا وروسيا، وأثناء ذلك أطبقت عليها جيوش سبع دول عربية، وقررت الحكومات العربية أن يكون عبد الله بن الحسين بن علي ملك الأردن قائدا عاما للقوات العربية المحاربة، تعاونه هيئة عسكرية تمثل الجيوش العربية، وتقوم حرب فلسطين يوم السبت 15 مايو 1948م ضد الصهاينة الذين أتوا لاغتصاب الأرض، وأرسل مدحت شوكت وخيري أبو عافية الدفعة الثانية من الثوار إلى فلسطين بعد أن اشتعل حماسهم للجهاد، وساعدهم في السفر نهاد شريف باشا، وأعطاهم كل ما يحتاجون إليه ليقفوا بجانب الجيش المصري، ومن بينهم بعض طلاب الجامعات، وأستشهد بعض الثوار من زملاء مدحت وخيري في الحرب.

وكان من اليسير على الجيوش العربية أن تحقق نصراً ساحقًا على اليهود لو أن العمليات الحربية قامت على خطة مشتركة وأهداف محددة، فقد احتلت القوات الأردنية الضفة الغربية دون مقاومة تذكر،

وكادت القدس تسقط، بعد أن قطع العرب الطريق إليها، ومضت القوات المصرية تشق طريقها على الساحل حتى غدت على عشرين كيلو مترا من تل أبيب، واحتلت مستعمرة نيتسانيم التي تصل بينها وبين القوات الأردنية في القطاع الجنوبي، إلا أنها تركت وراءها جيوبًا عديدة لمستعمرات يهودية حصينة بقيت شوكة في جنبها، ومع احتلال القوات المصرية بئر سبع بقيت مستعمرات اليهود في النقب تمون من الجو، حتى استولى اليهود على بئر سبع.

***

obeikandl.com

(9)

وكانت الهدنة الأولى، يساندها موقف الولايات المتحدة، فقد عدت دخول الجيوش العربية إلى فلسطين عملا عدوانيا، وكانت فرصة ألتقط اليهود فيها أنفاسهم للجولة الثانية، بعد أن تكبدوا خسائر كبيرة في الأرواح والمعدات على أيدي الجيوش العربية والثوار، وقبل العرب الهدنة بعد أن اختلفوا على قبولها، بينما راح الملك عبد الله يقنع الدول العربية بفض القتال وتجنب العرب مخاطر جولة ثانية، ولعله كان على حق في هذا أمام الموقف الدولي المتميع في جانب والمناصر لليهود في جانب أخر، وبهذا كان بعيد النظر، وأن عد موقفه خيانة للقضية الفلسطينية، وكانت تلك مأساتها بين الواقع والأمل.

وقام الملك فاروق بزيارة الجبهة يوم الثلاثاء 6 يوليو 1948م قبل يومين من الموعد المحدد لنهاية الهدنة، و تفقد جنوده وضباطه والثوار الفدائيين محاطا بالقادة العظام وعلى رأسهم وزير الحربية، وأمضى في الميدان ليلة زار خلالها الخطوط الأمامية في المجدل، ورجع في الصباح

بعد أن اطمأن على حالة الثوار والجنود قبل الضباط، وأشاد الملك بروحهم المعنوية، وأنعم على الأبطال الثوار الشجعان منهم والجنود والضباط بالأوسمة، وعاد واثقا من قدرة الجيش والثوار على مواصلة النصر، إذا استأنف القتال.

***

وبدأت الجولة الثانية وحقق فيها اليهود أكثر مما يبغون، وبدأ العرب يتبادلون تهم الخيانة، وأخلى الملك عبد الله (ملك الأردن) اللد والرملة، فكشف ميمنة القوات المصرية والفلسطينية والثوار في القطاع الشرقي أمام اليهود، ووقفت القوات العراقية دون الهدف المحدد لها باحتلال نتانيا على البحر لتفصل بين حيفا وتل أبيب، وأن كانت قد تعاونت مع الجيش الأردني على حماية مثلث (جنين، طولكرم، نابلس) وتوقفت القوات السورية عند سمخ بعد أن احتلتها، ولم تشق طريقها نحو طبرية عند جسر بنات يعقوب.

***

(15)

أصدرت محكمة الجنايات في يوم السبت 24 يوليو 1948م أي بعد 31 شهراً كاملة أمضوها الثوار ما بين سجن الأجانب وسجن قرة، وبعد سماع شهود الإثبات في حادث مقتل أمين عثمان باشا، واستدعاء مصطفى النحاس باشا للإدلاء بشهادته أمام المحكمة، الحكم على المتهم الأول حسين توفيق واعتباره مسئولاً مسئولية جزئية وحكم عليه غيابيا لهروبه بعشر سنوات، وبالسجن وبالحبس لعدد من المتهمين ومن بينهم شريف السحرتي وسجن في نفس الزنزانة التي سجن فيها الشهيد فؤاد همام وبراءة محمد أنور السادات وآخرين.

***

تساق نادية إلى الضياع (نفس ظروفها السابقة) وكما حدث من قبل تحمل في أحشائها طفلا منه، هنا تنكشف لها مسئوليتها عن هذا الحظ العائد؛ فهناك خطأ يجب إصلاحه.

***

obeikandl.com

(11)

في يوم الأحد 22 أغسطس 1948م أخر يوم في حياة أحد المؤسسين الأصليين لحركة الضباط، لأنه من أكفأ ضباطنا الثوار القائمقام أحمد عبد العزيز، وكان على موعد مع الموت، فقد كانت الرصاصة الطائشة التي أصابته أمام قرية عراق المنشية، لأنه كان يتعجل الوصول إلى مركز قيادة اللواء المواوي باشا في المجدل أثناء الليل ليعرض عليه تفاصيل الاجتماعات التي عقدت في القدس لتحديد الأهداف التي يحتلها الثوار، حيث استقل سيارة جيب ليلا من بيت لحم في طريقه إلى المجدل وكان يرافقه اليوزباشى صلاح سالم، وقد سأل بنفسه أحد ضباط قيادة الثوار عن كلمة سر الليل قبل أن تتحرك السيارة الجيب، وكان هذه الكلمة هي (غزة).

وأثناء سير السيارة اقتربت من خنادق للجنود المصريين، وتوقفت السيارة وطلب الحارس كلمة سر الليل، ولم يسعف اليوزباشى صلاح سالم أن ينطق كلمة السر عندما انطلقت أول رصاصة من أحد

الجنود التي كانت تتربص بدوريات اليهود أمام قرية عراق المنشية، وعندما سنحت له الفرصة لأن يصرخ بكلمة سر الليل، كانت الرصاصة القاتلة قد أصابت أحمد عبد العزيز، أنه شخصية ساحرة، وقائد شجاع إلى حد غير عادي، وقبل وفاته بفترة قصيرة قاد وحدات من الثوار تغلغلت داخل فلسطين، وكبدوا اليهود خسائر فادحة في الأرواح والمعدات، حتى أطلقوا عليه القاتل السفاح، ولو بقى على قيد الحياة لاستطاع أن يحرك الجيش وأن يتخذ شكلا مختلفا، ومازال للآن يعتقد البعض أن مصرعه كان جريمة قتل وليس حادث عرضيا بسبب كلمة سر الليل، وسيبقى اسمه رمزا للعمل الثوري، وليهتدي به الثوار في جميع معاركهم حتى يتسنى النصر .

***

وقعت قوات الفالوجا، وهى جيب صغير في الصحراء تحت الحصار بداية من يوم الأحد 24أكتوبر 1948م بعد انهيار الجبهة المصرية وتمزقها إلى جيوب معزولة، وفشلت كل المحاولات لنجدتها، وكانت قوات الفالوجا من الكتيبة العاشرة (ضمن اللواء الرابع المشاة) بقيادة الضابط السوداني الأميرالاي السيد طه الذي اشتهر بشجاعته وشعبيته، وكان يطلق عليه (الفهد الأسود) وكان معه الصاغ جمال عبد الناصر، ووجد العدو في القوات المحاصرة هدفا نموذجيا كان يتمناه، وسوف يجعل منه عظة وعبرة، وواصل (ألون) هجومه على (الجيب) طول ثلاثة أسابيع كاملة، ولم يترك سلاحًا لم

يستعمله، تساقطت القنابل والمنشورات، وتصاعدت الإذاعات بمكبرات الصوت ليل ونهار، وانهالت الهجمات براً وجواً، ولكن القوات صمدت ورفضت كل عروض التسليم.

***

فقدت الذخائر والأغذية والأدوية مع القوات المحاصرة ولكن بدا أن (روح الفالوجا) سرت إلى القوات، واستطاع الضابط معروف أحمد الخضري من ضمن المتطوعين مع الثوار في قوات الشهيد أحمد عبد العزيز، وكان من ضمن الثوار الذين اقتحموا حصار الفالوجا، وعرف ببسالته وثوريته وينفذ بقافلة من الجمال تحمل الذخائر والأغذية والأدوية لهذه القوات، ويضيف فصلاً آخر للنضال ويعزز الصمود حتى وقع في أسر اليهود، وقضى في السجن عشر سنوات، وأشار أنه توجد صلة بين الصاغ جمال عبد الناصر واليهود في حصار الفالوجا، وجاء ضابط أخر وهو حسن التهامي ومن أقرب الضباط إلى جمال عبد الناصر، وأشار إلى صلة الصاغ جمال عبد الناصر وإيجال يادين، واقترب الضابط حسن التهامي من الجنرال يادين رئيس أركان حرب القوات اليهودية وسأله:

ـ ما هي علاقتك بالصاغ جمال عبد الناصر وهو محاصر في عراق المنشية (قطاع الفالوجا) . . وأرسلت إليه عدة مرات أقفاص البرتقال والشكولاته عبر السلك الشائك؟

ونظر له الجنرال وقال :

ـ لماذا الدهشة . . والجيش المصري مازال يحاربنا . . وجمال عبد الناصر صديقًا شخصيًا لي من قبل الحرب . . ومن واجبي أن أرسل له ما يحبه . . ولاسيما أن الحصار قد منع وصول الأغذية لكم . . ولم أجد في نفسي أي غضاضة أو موانع من إرسالها إليه .

وتقبلها الصاغ جمال عبد الناصر في كل مرة .

ويذكر الملازم أول وحيد رمضان قائد سرية مدافع الماكينة بلواء الفالوجا، ومن أبرز الضباط الثوار، ما يؤكد رؤية الضابطان معروف الخضري، حسن التهامي من صلة الصاغ جمال عبد الناصر بالميجر كوهين أركان حرب قائد القطاع اليهودي، وإيجال ألون رجل المخابرات الإسرائيلية المعروف، ويضيف أن الصاغ جمال عبد الناصر بعد لقاء مع كوهين قد أخبره وكان معهما اليوزباشي صلاح سالم نقلاً عن كوهين بأن الثوار يعدون لانقلاب يطيح بالنظام الملكي، ويري في ذلك دليل على تأهيل اليهود للصاغ جمال عبد الناصر للقيام بقلب نظام الحكم في مصر، وكان حرص الضابط وحيد رمضان أن يكون الانقلاب مصريًا خالصًا لا يسانده أحد من اليهود .

***

(12)

وحينما فرضت الهدنة (المهينة) الدائمة في رودس مع الدول العربية، وبينما قرار مجلس الأمن يوم الخميس 4 نوفمبر ويوم السبت 6 نوفمبر 1948م يقضي بانسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضي التي احتلتها في شهر أكتوبر 1948م في فلسطين انتفض الثوار والعمال وشباب الجامعة في مظاهرة أضخم من ذي قبل قادها مدحت شوكت وخيري أبو عافية صباح يوم السبت 4 ديسمبر 1948م وتوجها إلى كلية الطب بالقصر العيني، ودارت معركة حامية أمام فناء الكلية، وكانت أحد مراكز القوة بالنسبة للطلاب، واستخدم البوليس الرصاص، وكان حكمدار العاصمة اللواء سليم زكي باشا يقود المعركة من سيارته وألقيت عليه قنبلة أصابته إصابة مباشرة أدت لوفاته، وكان وريث (راسل باشا) الحكمدار الإنجليزي للقاهرة لمدة ثلاثين عامًا، وكان رجل الأمن رقم واحد.

***

في يوم الاثنين 13 ديسمبر 1948م خلال المرحلة الأخيرة سقطت التبة 86، وانزعجت القيادة، وركزت جهودها لاستعادة هذه التبة مهما كان الثمن، وتحددت ساعة الهجوم مع أول ضوء يوم الخميس 23 ديسمبر 1948م، وتقدمت السرية الثالثة من الكتيبة السابعة ومعهم الثوار لتنفيذ المهمة، وبفضل جرأة قائد القوة ومفاجأة العدو، وبفضل عزيمة الرجال أمكن تكبيد القوات الإسرائيلية خسائر فادحة وإرغامها على الانسحاب، واستمرت النيران تلاحقها خلال الانسحاب رغم هطول الأمطار بغزارة، وكان القتال بطولنًا من رجال الجيش والثوار، وجرح القائد للمرة الثالثة الأميرالاي محمد نجيب، ولكن لم يغني ذلك عن النتيجة، واجتاز العدو حدود مصر، وتقدمت الكتيبة الإسرائيلية نحو العريش لكن وقعت في كمين مضاد للدبابات متمركز على الجانب الغربي للطريق، وفتح قائد الكمين نيران مدافعه، فحطم جنزير الدبابة القائد، عندما تعذرت عليها المناورة انسحبت كلها بسرعة.

***

(13)

اجتمع مدحت شوكت وخيري أبو عافية ببعض الثوار من العمال والطلبة وضباط البوليس والجيش في بدروم أحد العمارات ومن بينهم عبد المجيد حسن الطالب بكلية الطب البيطري، وناقشوا الأحداث الدائرة، وانصرفوا صباح يوم الاثنين 27 ديسمبر 1948م، واتفق عبد المجيد مع أحد زملائه من ضباط البوليس على تنفيذ المهمة وحدهما رغم تحذير مدحت وخيري لهما وكفي ما حدث لمحمود العيسوي لأن الاغتيالات السياسية لا تدخل ضمن نشاطهم إلا أنهما أصرا على تنفيذها.

في صباح يوم الثلاثاء 28 ديسمبر 1948م ارتدي عبد المجيد بدلة ضابط بوليس الذي أعداها له رفيقه ضابط البوليس وتوجه إلى مقهى الإعلام (وهي في تقاطع شارع عماد الدين مع شارع الشيخ ريحان) وجلس على إحدى المقاعد وطلب كوب شاي، بعد لحظة يسمع صوت جرس التليفون بالمقهى وينهض ويقترب من التليفون ويتحدث

مع ضابط البوليس وبعد انتهاء المكالمة يضع السماعة فوق التليفون ويخرج من المقهى بعد أن أعطي الحساب للنادل و كانت عقارب الساعة تشير إلى العاشرة صباحا، ويتوجه إلى وزارة الداخلية القريبة من المقهى، وصحب محمود فهمي باشا النقراشي رئيس الوزراء ووزير المالية ووزير الداخلية إلى المصعد ولم ينتبه إليه أحد سوى رفيقه ضابط البوليس ولم يثر أية ريبة وبعد دخولهما أغلق الباب وأخرج مسدسا صوبه إلى ظهره وأطلق ثلاث رصاصات أردته قتيلاً على الفور، وظل الضابط يراقبه حتى انتهت العملية وتسلل خارج الوزارة دون أن يشعر به أحد ، وانقض الجميع على القاتل وقد أذهلتهم المفاجأة ولم يبدِ أي مقاومة واستسلم وبدا راضيا مطمئنا كأنما أدى أمانة، وكان دافعه لذلك رفض رئيس الوزارة للخطة العسكرية التي عرضها عليه وزير الحربية (حيدر باشا) لتوجيه ضربة ساحقة إلى العدو الصهيوني في حرب فلسطين، وكانت الخطة هي قيام الطيران المصري بهجوم جوى مكثف على مدينة تل أبيب، وخاصة على المقر الذي يجتمع فيه زعماء إسرائيل لإعلان دولتهم، والقضاء على أكبر عدد منهم، وكذا حادث كوبري عباس، وأخيراً قراره بحل جمعية الإخوان المسلمين، وروع الحادث البلاد، ولكن لم تنتفض الجماهير سخطًا واحتجاجًا، أو طلبًا للقصاص والثأر لدمه، لأن لم يكن للنقراشي باشا أي شعبية تذكر.

***

واستطاعت أجهزة الأمن أن تلاحق الثوار وتعتقلهم، وانتحر ضابط البوليس الذي وضع الخطة مع الطالب عبد المجيد حسن خوفا من القبض عليه، وتكشف سيل من الحقائق حول (الإخطبوط) الكبير المسمى بتنظيم الثوار، وحكم على عبد المجيد حسن طالب الطب البيطري بخمسة عشر سنة سجن، وعلى الثوار الذي تم اعتقالهم عقب الحادث بالسجن والحبس لعدد منهم وبراءة الآخرين، أثناء ذلك يراقب عباس البحيري زميله في العمل مدحت شوكت الباقي من الثوار البارزين ومعه خيري أبو عافية بعد أن أودع باقي زملائهما في السجون، كل هذا بأمر أسياده الإنجليز وخصوصًا الحكمدار الإنجليزي الذي كان يغدق عليه بالمال الكثير.

***

obeikandl.com

(14)

في يوم الثلاثاء 28 ديسمبر 1948م بلغ قائد موقع الفالوجا الأميرالاي السيد طه من مركز القيادة بهجوم مصفح في منطقة الفالوجا في قطاع عراق المنشية، وأسرع إلى الخطوط الأمامية حيث أصدر أمرا إلى بعض الفصائل بالهجوم المضاد والعاجل لاسترداد عراق المنشية، وابتهل إلى الله أن ينصرهم، واتجه إليه بكل إيمان، وأحس باطمئنان شديد، لقد هتف من داخل وجدانه هاتف إن الله سوف ينصرك على العدو، ولما تحدث مع أحد الضباط أكد له أن كل قوات الفالوجا تشعر بنفس الشعور، وأنهم لن يدخروا وسعا لتحقيقه، وتم الهجوم على العدو هجمة صادقة بمائتي رجل فقط ضد خمسمائة إسرائيلي، فقتل أغلبهم، ولم ينج إلا خمسة أخذوهم أسري.

وصمد رجال الفالوجا 125 يومًا طويلة، وردوا كل الهجمات المتقطعة برًا وجوًا، وأصبحوا أسطورة الحرب والعرب، لأنهم من أشجع جنود مصر، وتداول العالم قصتهم، وفي النهاية خرجوًا يوم

السبت 26 فبراير 1949م بكامل أسلحتهم وشرفهم لينضموا إلى القوات في غزة بعد الهدنة ونهاية الحرب.

***

وكان الضباط يبررون عدم نجاحهم في الحرب ضد الإسرائيليين بحجة أن الأسلحة كانت فاسدة، وكانت الصحافة قد نفخت في قضية الأسلحة الفاسدة إغاظة في الملك لأن معظم المتهمين كانوا من حاشيته فجاء حكم البراءة لكل المتهمين في قضية الأسلحة الفاسدة من المستشار سليمان بك ثابت الذي رأس محكمة الجنايات التي أصدرت الحكم ليسقط ادعاءات الضباط الذين اشتركوا في حرب فلسطين ومن بينهم الصاغ جمال عبد الناصر، وأغضب هذا الحكم الضباط غضبا شديدا، وهددوه عقب ذلك.

***

(15)

قابل محمد أنور السادات صديقه الحميم الطبيب يوسف رشاد بعد أن أصبح طبيبا في الحرس الملكي، وتحدث معه على عودته إلى الجيش، وما هي إلا أيام قليلة حتى اتصل به يوسف رشاد يبلغه أن يقابل حيدر باشا قائد عام القوات المسلحة يوم الثلاثاء 10 يناير 1950م، وكان حيدر باشا في انتظاره، وما أن رآه حتى انهال عليه بالسباب:

ـ أنت ولد مجرم . . تاريخك أسود . . و . . و . .

وحاول أن يتكلم:

ـ لا داعي للكلام . . لا تفتح فمك على الإطلاق.

وفجأة دق الجرس فدخل كاتم أسراره:

ـ أفندم يا باشا.

ـ الولد ده ترجعه الجيش النهارده.

وصدرت النشرة العسكرية بعودته إلى القوات المسلحة اعتباراً من

يوم الأحد 15 يناير 1950م برتبة يوزباشي وهي الرتبة التي خرج بها من الجيش .

***

ونجح مدحت شوكت وخيري أبو عافية بعمل اكتتاب شعبي لتمويل حركة الشباب في مدن القناة ابتداء من أول يناير 1951م حتى جعل كل فرد من الشعب يشعر أن له دور في معركة وطنه ضد الإنجليز، وتبرع الوطني الكبير نهاد شريف باشا بكل ما طلب منه ومعه الباشوات الذين أحبو الثوار لما يفعلونه ضد الاستعمار البريطاني .

***

obeikandl.com

(16)

في يوم السبت 13أكتوبر 1951م وصلت قوات بريطانية جديدة إلى بورسعيد، وما أن شرع الجنود في ركوب القطارات التي كانت ستنقلهم إلى معسكراتهم، حتى روعوا بذلك المارد من الثوار الذين كانوا يظنون أنهم قد انتهوا من أمره بحبسه داخل قمقم لن يستطيع الخروج منه، وامتنع عمال السكة الحديد عن تزويد القطار الذي أعد لهم بالماء والوقود، كما امتنعوا عن إعداده للسير، ورفض سائق القطار ومساعده العمل فيه ، كذلك رفض سائقو القطارات الأخرى التي كانت مخصصة لنقل القوات البريطانية العمل فيها، وترتب على ذلك وقف تسييرها، فاضطرت السلطات البريطانية إلى نقل الجنود والضباط وعائلاتهم إلى المعسكرات بسيارات الجيش البريطاني.

كذلك امتنع عمال الشحن والتفريغ في موانى القناة عن تفريغ حمولة البواخر البريطانية ، وفي الأيام القليلة الأولى التي أعقبت إلغاء المعاهدة، ظل أكثر من سبع عشرة باخرة بريطانية تهيم في القناة، دون أن تستطيع الاستقرار، ودون أن تستطيع إنزال ما عليها من جنود وعتاد ، بعد أن تخلي عنها عمال الشحن والتفريغ.

ومضي الثوار من العمال المصريون، بكل الإيمان بأنفسهم، وبكل الولاء لوطنهم يكيلون الضربات لبريطانيا، فامتنع من كان يعمل منهم في المعسكرات البريطانية عن العمل، وانسحبوا جميعهم منها (وبلغ عدد العمال المنسحبين ما يقرب من مائة ألف عامل، كانوا يعملون في المعسكرات البريطانية في ورشها ومصانعها وإداراتها المختلفة) وهو أمر لم يتوقعه البريطانيون، وأصبحت حامية قناة السويس البريطانية معزولة فعلا عن بقية البلاد.

ولقد أثبت الثوار من العمال بموقفهم البطولي الرائع هذا، أنهم في مستوى المعركة، كذلك أثبتوا أن روح المصري الذي ظن البعض الظنون، وحسبوا أنه قد مات وخمد، لم يمت، ولم يخمد فقط، بل كان مختبئ تحت الرماد.

قابلت الحكومة برئاسة مصطفى النحاس باشا هذا الموقف البطولي الذي قوي عزائمها، وثبت أقدامها، بما يستحقه من تأييد وتشجيع، فألحقت جميع العمال الذين انسحبوا من العمل في المعسكرات البريطانية، بمصالحها المختلفة، وصرف لهم أجورهم منذ انقطاعهم عن العمل.

***

في يوم الثلاثاء 13 ديسمبر 1951م قاد مدحت شوكت وخيري أبو عافية ومعهما الثوار هجوما ضد معسكرات الإنجليز بمنطقة القناة،

وحاولوا اغتيال (البريجادير جنرال اكسهام) قائد القوات البريطانية في منطقة الإسماعيلية، بأن قذفه بعض الثوار أثناء توجهه إلى (القصاصين) بثلاث قنابل يدوية خطأته وقتلت قائد السيارة، ولم يطق القائد العام للقوات البريطانية في الشرق الأوسط صبراً على تلك النيران التي كانت تصب على رؤوس جنوده وضباطه في منطقة القناة، وقال:

ـ إن لدي ما سأفعله لتأديب الثوار.

وازدادت أعمال قوات الاحتلال وحشية وعنفًا، وواجهها الثوار ببسالة رائعة، سجلتها الصحف البريطانية نفسها.

***

في يوم السبت 12 يناير 1952م قاد مدحت شوكت وخيري أبو عافية أكبر هجوم عنيف ومعهما الثوار على الموقع التاريخي الشهير (التل الكبير) إذ نسف الثوار بالألغام الخط الحديدي في طريق قطار مسلح، كما فتحوا الكبرى الذي يصل بين ضفتي الإسماعيلية لمنع وصول المدرعات الثقيلة، وظلت الضفتان تتراشقا بالرصاص والقنابل حتى اضطر الإنجليز (لكي يعبرون إلى الشاطئ الأخر من الترعة) إلى ركوب القوارب المطاط والتي كانت بدورها صيداً سهلاً للثوار، وأستحضر الإنجليز المدافع بعيدة المدى وأطلقوا القنابل على مساكن التل الكبير، وعند الغروب توقف القتال، وأصيب خيري أبو

عافية وتم نقله إلى القاهرة، وكان يشرف على علاجه نهاد شريف باشا في قصره بالهرم.

في اليوم التالي الأحد 13 يناير 1952م استأنف القتال بعد مد كباري أقامها سلاح المهندسين البريطاني عبرت المصفحات والدبابات، وبذلك تمكنوا من محاصرة التل الكبير والقورين وأبو حماد والقرى المحيطة بها، وقذفوها بالمدافع وسقط قتلى لا يحصى عددهم من الجانبين، واعترف أحد الضباط الإنجليز (أنها أول المعارك المنظمة تنظيما جيدا، وقد ثبت الثوار المصريون بالقتال ولم يركنوا إلى الفرار وهذه المعركة أعنف من أي معركة خاضوها أيام الانتداب البريطاني على فلسطين) ويتم القبض على مدحت شوكت وبعض الثوار بعد انتهاء معركة التل الكبير، وكان وراء القبض عليهم العميل عباس البحيري.

***

(17)

تنعى نادية حظها لأنها لم تشترك في عملية الإصلاح، فمنذ يوم المظاهرات عام 1941م كانت تعتمد على الآخرين في إصلاح الخطأ العام، اعتمدت على فؤاد همام واكتفت بالزواج منه كنوع من المشاركة، وحين اختطفوه منها اعتمدت على فاروق واكتفت بتأنيبه ومسائلته عن نتيجته الثورية، واعتمدت على شريف واكتفت بتلقي عطائه لها وزواجه منها، وتم القبض عليه، بينما هي طاقة مهيأة للعمل مع الآخرين في النضال لتختصر الزمن وتحظى بشرف العمل، تتحول إلى شعلة نشاط وتؤلب نساء عصرها (الخمسينات) لتوقظ الحركة النسائية المصرية التي خمدت بعد أن بدأت عام 1919م.

***

بازدهار الحركة النسائية واستمرار حركة الثوار والشباب المصري من العمال والطلبة (بعدما قبض على قادتهم واستشهاد البعض منهم) تضطرب الأرض تحت أقدام المرفوضين، الطغاة

والإنجليز، فتحدث المذبحة التي دبرها الإنجليز ضد قوات بلوكات النظام من رجال البوليس بمدينة الإسماعيلية يوم الجمعة 25يناير 1952م، بدأت الدبابات الإنجليزية تطلق مدافعها على ثكنات بلوك النظام، وقاوم جنود بلوكات النظام واستماتت بشدة وأدهشت القيادة البريطانية، وقد استطاعت أن تقتل 13 جنديا بريطانيا وإصابة 12 جريحًا وهم يحاولون اقتحام الثكنات، واتصل اللواء أحمد رائف باشا قائد قوات بلوكات النظام تليفونيا بوزير الداخلية (فؤاد سراج الدين باشا) يبلغه ما حدث وأن اليوزباشي مصطفى رفعت من قوة البوليس المصري أخبر البريجادير إكسهام بأنهم لن يتسلموا سوى جثثًا هامدة، وأن القوات الموجودة صامدة رغم قتل 50 جنديًا و80 جنديًا مصابًا ووافق الوزير على عدم الاستسلام، وكان الوزير يمد الثوار بالسلاح والذخيرة منذ قيامهم بالعمل الوطني في مدن القناة.

***

(18)

في صبيحة يوم السبت 26 يناير 1952م عقب هذه المذبحة خرجت المظاهرات من كل أنحاء العاصمة حتى عساكر البوليس اشتركت في المظاهرات وامتنعت باقي قوات البوليس من التدخل لفض المظاهرات، واتجهت المظاهرات إلى جامعة الأزهر واستنفرت طلابها، ثم اتجه الجميع إلى جامعة فؤاد الأول (القاهرة حاليا) حيث انضم الطلاب أيضًا والتحم البوليس والطلبة لأول مرة في تاريخهما وانضمت لهم جموع الشعب، وتسللت مجموعات وعصابات لم يكتشفها أو يحاصرها أحدا، وانهمكت في التدمير بـ (ت.ن.ت) و(الجلجينيت) وتحطيم الأبواب بالآلات الحديدية وإشعال الحرائق في كل أرجاء القاهرة، وفى عدد من المنشآت والمؤسسات والمحال الكبرى والنوادي والبنوك ودور السينما في شارع فؤاد الأول (26 يوليو حاليًا) وكذلك الشوارع الأخرى، وكأنها أوامر أصدرت إلى هؤلاء المجموعات في ترتيب منظم، ولم يعرف هويتهم، وبسرعة تحولت القاهرة إلى شعلة من النيران، مما أزهل الجميع وأثار الرعب

والفزع، وظلت النيران تلتهم أهم مباني ومتاجر وأندية العاصمة ولا تجد من يخمدها.

أثناء ذلك كان الملك فاروق يجرى في طرقات القصر الملكي بعابدين وهو في أشد حالات القلق والانزعاج، وطلب من الطيار مصطفى صادق عم الملكة ناريمان الاتصال بقائد السرب الملكي لإعداد طائرة هليوكوبتر حتى يتسنى له استخدامها في الهروب خارج البلاد، لأنه كان يعتقد إن الموقف لن يقف عند حريق القاهرة، وأنه قد يتطور في اليوم التالي ليهدد حياته بالخطر، وقرر الملك فاروق أن يهرب قبل أن تغرق سفينة العرش.

وقبل غروب الشمس نزلت قوات الجيش شوارع القاهرة وفضت المظاهرات، وانتقل زمام المحافظة على الأمن من أيدي قوات البوليس إلى أيدي قوات الجيش، وظل الجيش يسيطر على الأمن بالعاصمة إذ فرضت الأحكام العرفية و فرض حظر التجول، ومر الليل وسماء القاهرة يملأها دخان الحرائق، وينعكس عليه لون اللهب الأحمر في جميع الأحياء.

ولكن الموقف أخذ يهدأ وقد سارت الأمور من وجهة نظر الملك إلى ما هو أحسن، وتم التمهيد للتخلص من حكومة الغالبية الشعبية إذ أن الملك فاروق أقال وزارة مصطفي النحاس باشا في الساعات الأولي من يوم الأحد 27 يناير 1952م وكلف على ماهر باشا

بتشكيل الوزارة بسرعة بعد حريق القاهرة، وقام أحمد مرتضى باشا المراغي وزير الداخلية في حكومة على ماهر باشا باعتقال كل العناصر الوطنية المتحركة وإيداعها في معسكر (هايكستب) وتصور الملك فاروق أن اعتقال هذه العناصر يمكن أن تهدأ معه العاصفة، وبعد إجراء التحقيق لم يسفر عن معرفة الجناة الذين حرقوا القاهرة، وتبادل القصر والوفد الاتهامات، وحامت الشبهات حول أحمد حسين المحامي (من الثوار) رئيس حزب مصر الفتاة.

إن التحقيق قد فشل في تحديد الاتهام إلا أنه قد نجح في إثبات حقائق تقرر أن حرق القاهرة قد جاء نتيجة خطة منظمة وأنه لم يتم ارتجالا، فالقاهرة لم تشتعل فيها النيران نتيجة هياج الشعب أو تخريب الدهماء، بل إنه قد تم بناء على خطة موضوعة، وأنه قد استعمل مواد حارقة وناسفة وأدوات لتحطيم الأبواب الحديدية لبعض المخازن التجارية، وأن كل هذه الأدوات لم يكن بالإمكان أن تتوافر لدي المتظاهرين الذين خرجوا ليعلنوا سخطهم وغضبهم على الأعمال الرهيبة التي قامت بها قوات الاحتلال البريطانية بالأمس ضد قوات البوليس المصري بالإسماعيلية.

***

سافر حسن العشماوي المحامي (من الثوار) في صبيحة يوم حريق القاهرة إلى أحد مدن الصعيد ليترافع في أحد القضايا، فلما عاد بعد

ظهر اليوم التالي أخبرته زوجته أن بعض ضباط الجيش قد أحضروا صناديق وضعوها بجراج منزله، وتوجه العشماوي إلى الجراج فوجد به عدة صناديق مليئة بمادة (ت . ن . ت) و (الجلجينيت) وأسلحة مختلفة، واتصل حسن العشماوي بصديقه البكباشي جمال عبد الناصر كي يستفسر عن هذه الأسلحة، فأخبره بأن هذه هي بقية المواد التي كان في النية إرسالها إلى منطقة المعسكرات البريطانية في القناة ليستعملها الثوار ضد الجيش البريطاني، وأنهم أي الضباط رأوا نقلها إلى منزله لأنه بعيد عن الشبهات، وأنهم يخشون لو بقيت في منازلهم أن تضبط، وكانت عقوبة إحراز أسلحة أو مواد مفرقعة في ذلك الحين هي الأشغال الشاقة، وعلم حسن أن مواد حارقة أخرى قد أودعها البكباشي جمال عبد الناصر وبعض زملائه الضباط في منازل أخرى للثوار، وتم الاتفاق بين عبد الناصر والعشماوي على أن يتم بناء مخزن لهذه الأدوات في بلدة الأخير بعزبة والده محمد العشماوي باشا القريبة من مديرية الشرقية .

لم يكن أمرًا هينًا أن ينقل حسن الأسلحة والذخائر إلى عزبة والده العشماوي باشا، وذلك لأن مصر في هذه الأيام كان يسودها جو غريب، فالقاهرة منتشر في كل أرجائها جنود وضباط يفتشون الجماهير و خصوصًا السيارات التي تحاول الخروج في اتجاه الدلتا أو الإسماعيلية خشية أن يكون بها ثوار أو أسلحة للقيام بعمليات ضد المعسكرات البريطانية .

اهتدي فكر حسن العشماوي إلى عملية بادر بتنفيذها إذ أن هذه الذخائر في جراج منزله فيه خطر انفجارها وكذلك خطر أن يبلغ أي عميل للحكومة عن وجودها لديه، ولذلك استأجر سيارة نصف نقل ووضع الصناديق التي تحتوي الأسلحة والذخيرة في السيارة ثم غطي الصناديق ببعض قطع أثاث قديم ثم بلفات بها ملابس قديمة، ولبس جلباب بلدي وشبشب وألبس أبنه محمد وابنتيه أماني وفاطمة جلاليب رخيصة وأجلسهم فوق لفات الملابس، أي فوق صناديق الأسلحة والمفرقعات وقاد السيارة وجلست إلى جواره زوجته الحاجة قدرية وقد ارتدت جلابية سوداء، كان المظهر هو مظهر أسرة ريفية تهاجر من القاهرة إلى القرية، واستطاع بتلك المخاطرة المخيفة أن يصل إلى عزبة والده بالشرقية، ولحق به بعض الضباط من سلاح المهندسين وحفروا في السر بئراً وضعوا فيه الصناديق ثم ردموه، وبعد انصراف الضباط.

احتفلت الأسرة بنجاح الخطة التي كان من الممكن أن تؤدي بحياة كل من في السيارة، أو كانت قد تسفر عن ضبط عملية تهريب الأسلحة والذخائر والقبض عليه وتقديمه للمحاكمة.

وانتهي الأمر باتهام أحمد حسين المحامي رئيس حزب مصر الفتاه بتدبير هذا الحريق، وبأن أفراد الحزب هم الذين قاموا بإشعال النار في أنحاء القاهرة، وبالاطلاع على محاضر التحقيق أتضح أن اتهامه لم يكن يقيم على أدلة ثابتة بل كان قائما على الشبهات، وعلي الرغم

من ضعف هذه الشبهات فقد أحالت النيابة العمومية أحمد حسين إلى محكمة الجنايات بتهمة تدبير حريق القاهرة، وبعد ما رأت المحكمة عدم ثبوت الأدلة ضده أفرجت عنه، وظل حريق القاهرة مجهول الفاعل ولا يلقي من المسئولين أي اهتمام.

وإذا أضفنا إلى هذه الأمور الأحاديث التي سبقت الحريق بين البكباشي جمال عبد الناصر وحسن العشماوي عن ضرورة تحويل المعركة ضد الإنجليز إلى معركة داخلية ضد الملك فاروق ورجال الأحزاب وعن ضرورة القيام بعمل يحقق سيطرة الجيش على القاهرة، وتكون الشكوك بأن بعض ضباط الجيش قد اشتركوا بطريق مباشر أو غير مباشر في إشعال الحرائق لها، ما قد يبررها وإن كان لا يقطع بأنهم فعلاً اشتركوا، وما تبقي من ذخائر أرسلوها في نفس اليوم إلى منزل حسن وبعض زملائه الثوار كما ذكر من قبل حتى لا ينكشف أمرهم.

***

(19)

وكانت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية هي الرأس المخطط لحركة الضباط ضد الملك فاروق، ولم يقوموا ضباط الحركة بأي تحرك إلا بعد أن أستشار أحد الضباط أشخاصا يعتبرهم أكثر خبرة بأشياء مثل الانقلابات العسكرية، وكانت تلك هي وكالة المخابرات المركزية الأمريكية التي كانت قد أرسلت عددا من العملاء المهرة إلى القاهرة ليراقبوا عن كثب نظام الملك فاروق الأخذ في الضعف، وكان من بين هؤلاء العملاء ضباط سابقون في مخابرات الجيش الأمريكي، الذين أمضوا أغلب حياتهم العملية في الشرق الأوسط، وقد أعطت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية إشارة لهم بالتنفيذ في أخر يوليو 1952م فهب فريق الضباط بزعامة اللواء محمد نجيب باشا يخططون لذلك.

***

obeikandl.com

(20)

ولم تستمر وزارة على ماهر باشا في الحكم إلا خمسة أسابيع ، وكان كريم ثابت وراء سقوطها ، وتشكلت وزارة أحمد نجيب باشا الهلالي في شهر مارس 1952م ، وجاء معه أحمد مرتضى باشا المراغي وزيراً للداخلية ، وفي بادئ الأمر اصطدمت هذه الوزارة بأحمد عبود باشا الذي أصرت على أن يُحصِل منه 6مليون جنيه من ضريبة الإنتاج على السكر ، ورفض أن يقوم بسدادها لخزينة الدولة ، ولعب وسيطان هما كريم ثابت وإلياس أندراوس دوراً في الضغط على الملك فاروق كي يسقط الوزارة حتى وافق ، ولم تبقى وزارة أحمد نجيب باشا الهلالي سوى عدة أسابيع ثم استقالت في يوم السبت 28 يونيو 1952م ، وتردد في تلك الأيام اسم الدكتور بهي الدين بركات باشا ليصبح رئيسًا للوزارة ، وقيل مع ترشيحه لهذا المنصب أن أحمد عبود باشا كان قد تلكأ في دفع الثمن الذي كان مطلوب منه للوسيطين مقابل التخلص من وزارة الهلالي باشا ، ولم ينتظر عبود باشا وبادر بدفع الثمن ، وكان طبيعيا أن يختفي اسم الدكتور بهي الدين بركات باشا كمرشح لرئاسة الوزارة ، ليحل مكانه اسم حسين سرى باشا الذي كان يعمل موظفًا في شركات أحمد عبود باشا ، واصطحب معه في هذه

الوزارة كريم ثابت كوزير، كما أسند منصب وزير الداخلية إلى زوج ابنته الدكتور محمد هاشم باشا، وكان ظهور اسم كريم ثابت في قائمة الوزراء، هو قمة العبث والاستهتار بمصالح شعب مصر، ولم تبقى حكومة حسين سرى باشا في الحكم أكثر من عدة أسابيع هي الأخرى.

***

وفي حركة يائسة، أستدعى الملك فاروق مرة أخرى أحمد نجيب باشا الهلالي لتشكيل الحكومة يوم الاثنين 21 يوليو 1952م، ولكن شخصية وزير الدفاع الجديد لم يكشف عنها إلا في مساء التاسعة من يوم الثلاثاء 22 يوليو 1952م، وعندما وصل أعضاء مجلس الوزراء إلى القصر لأداء اليمين، وهناك قيل لهم أن القائمقام إسماعيل شيرين ابن شقيقة حيدر باشا وزوج الأميرة فوزية شقيقة الملك فاروق هو وزير الحربية، وأحمد مرتضى باشا المراغي النشيط وزير الداخلية الذي قام بأجراء ضد ضباط الحركة، وبالفعل وبعد ساعة من أداء اليمين في دار الوزارة ببولكلي بالإسكندرية، وصلت الأوامر إلى القيادة العليا للجيش لاعتقال ضباط الحركة في منتصف هذه الليلة، ولم تبقى هذه الوزارة في الحكم أكثر من 48 ساعة.

***

(21)

ينتهي هذا الجنون بهزة حدثت في البلاد في منتصف ليلة الأربعاء 23 يوليو 1952 قادها اللواء محمد نجيب باشا في هدوء محكم التدبير، حيث تحرك البكباشي يوسف صديق بكتيبته التي تمتلك قوة نيران شديدة من الهايكستب تهز شوارع مصر الجديدة مقتربا من كوبري القبة مبكراً بحوالي ساعة، واقترب من مقر قيادة الجيش، واقتحم الدور الأرضي بعدما قتل جنديان وقام بتفتيشه، وصعد هو وجنوده الطابق الثاني فاعترض طريقهم جندي برتبة جاويش وحاول منعهم من الصعود، وحذره يوسف صديق فلم يستمع لتحذيره فأخرج مسدسه وأطلق طلقة على ساقه، وصعد هو وجنوده، وحاول أن يفتح باب مكتب رئيس الأركان لكن الباب كان مغلقا، وكان البعض من الداخل يحاول منعهم من فتح الباب، أمر يوسف صديق جنوده بإطلاق النار على الباب واقتحموا غرفة رئيس الأركان فوجدوا اللواء حسين فريد باشا رئيس أركان حرب الجيش واللواء أحمد هيبة باشا وضابط أخر يرفع منديلا أبيض، وتم اعتقالهم، ويمكن القول إن البكباشي يوسف صديق قد حقق عملا تاريخيا، وأنه أسهم بشكل

كبير في إنجاح حركة الضباط، وكانت شجاعته الحاسمة أحد عوامل نجاح الحركة، أثناء ذلك استولي بعض ضباط الحركة على قيادات القوات المسلحة في القاهرة، ثم في أرجاء البلاد.

***

وكان الهدف الذي أعلن لهذا الانقلاب والذي قام به ضباط من القوات البرية والطيران، هو تطهير القوات المسلحة من العناصر الفاسدة (واللصوص والخونة) وأن يعمل لصالح البلاد في إطار الدستور كما جاء في البيان الذي أعده البكباشي محمد أنور السادات بخط يده لحركة الجيش وأذاعه بصوته على الشعب من دار الإذاعة المصرية في صباح يوم الأربعاء 23 يوليو 1952م، وأثناء ذلك كان الملك فاروق في سراي رأس التين بالإسكندرية، لو في هذه اللحظات أخذ الملك سيارته وقادها مباشرة إلى قيادة حامية الإسكندرية بثكنات مصطفي باشا لاستطاع أن يتولى قيادة قوة عسكرية كبيرة، يزيد عددها كثيراً على متمردي القاهرة بالإضافة إلى ذلك فقد ظلت البحرية المصرية موالية، ومن الممكن الاعتماد عليها للتدخل لصالح الملك.

ولكنه قرر أن يبقي ساكنا (لقد أراد الملك تجنب سفك الدماء وأن يقاتل المصريون المصريين) وبالفعل عندما قام حرس الملك الذي يدافع عن قصر رأس التين بصد هجوم من ضباط الحركة، وأثناء ذلك جرح ستة جنود من الحرس الملكي، وطلب الملك بوقف إطلاق النار، فقد

كان مصمما على إحباط أية حرب أهلية ودموية محتملة، وتمكن لضباط الحركة اعتقال الرؤوس الكبيرة في الجيش وسلاح الطيران، كما اعتقل كثير من الضباط ومن كبار الموظفين المقربين إلى السراي ومنعهم من مغادرة البلاد.

ولدى الوهلة الأولى بدأ العسكريون وكأنهم عازمون على الابتعاد عن السياسة، وبعد اثنتي عشرة ساعة فقط تقدم اللواء محمد نجيب باشا إلى الملك بثلاثة طلبات:

1 ـ أن يتولى على ماهر باشا الوزارة.

2 ـ أن تجري انتخابات على الفور.

3 ـ أن تلغي الأحكام العرفية.

ورضخ الملك لكل هذه الطلبات، وكون على ماهر باشا حكومته الجديدة ومعظمها من وزرائه (المعينين) في حكومته السابقة، ما عدا أقوي الوزراء أحمد مرتضي باشا المراغي، وتدهور الموقف خلال اليومين التاليين وواصلت حركة الجيش حملة التطهير والإعتقالات (السلمية).

***

وفي صباح يوم السبت 26 يوليو 1952م ذهب القائد العام اللواء محمد نجيب باشا بصحبته البكباشي محمد أنور السادات إلى دار الوزارة ببولكلي بالإسكندرية وسلما على ماهر باشا إنذار إلى الملك فاروق

بضرورة تنازله عن العرش لابنه الأمير أحمد فؤاد الثاني ولي العهد ملكًا على مصر والسودان وتعيين مجلس وصاية، وذلك في موعد غايته الساعة الثانية عشر من ظهر اليوم، ومغادرة البلاد قبل الساعة السادسة من مساء اليوم، ورضخ الملك فاروق ووقع المرسوم الملكي عن تنازله عن العرش لولي العهد، ونظم حفل رسمي للرحيل في رأس التين شهده اللواء محمد نجيب باشا الزعيم الرسمي للانقلاب والبكباشي محمد أنور السادات وضباط آخرين، ولكن شخصين لم يتغيبا، هما الأميرتان فوزية وفايزة اللتان قررتا ضرورة رؤية شقيقهما قبل مغادرة البلاد وجاءتا بصحبة زوجيهما، وأبحر الملك هو وأسرته وحاشيته من الإسكندرية على اليخت المحروسة إلى إيطاليا، ومنذ البداية كان واضحًا أن اللواء محمد نجيب باشا هو صاحب اليد العليا، وأن العسكريين قرروا أن يمسكوا زمام الأمر وأن يحكموا سيطرتهم على الموقف.

***

(22)

فتحت السجون والمعتقلات ويخرج الثوار ومن بينهم شريف السحرتي ويعود إلى زوجته (نادية) فيجدها تحتضن ابنتها منه (كريمة)، و فاروق المواردي ليجد زوجته (نبيلة) قتلوها الإنجليز ويحتضن ابنه عاطف، ومدحت شوكت إلى والدته (فردوس هانم) ويحتضنها وهى تزرف دموع الفرح، وعبد المجيد حسن (طلب الطب البيطري) إلى والديه يحتضنهما.

***

بعد أيام قليلة من الإفراج عن الثوار يذهب فاروق وشريف ومدحت إلى منزل خيري أبو عافية للاطمئنان على صحته بعدما أصيب في معركة التل الكبير ولم يجدوا أحداً، وتوجهوا إلى قصر نهاد شريف باشا كي يعرفوا منه شيئًا عنه، وعندما وصلوا قابلهم بترحاب شديد، وقدم المأكولات والمشروبات، ومكثوا فترة ولم ينطق أحد منهم بكلمه، وبدأ القلق ينتابهم وهم ينظرون له، وقطع فاروق الصمت وقال:

ـ أتعرف شيئا عن خيري أبو عافية يا نهاد باشا؟

ونظر لهم والدموع تنحدر من عينيه، ولم يقدر على النطق، وتحدث شريف بعصبية :

ـ أحدث له شيء؟

ونظر له وما زالت الدموع في عينيه وقال :

ـ لقد سافر منذ أسبوع إلى فرنسا للعلاج يرافقه والده . . وقمت بكل الإجراءات حتى ركوبهما الطائرة . . وأعطيت والده شيكا بمبلغ كبير للصرف منه .

وبدا على وجوههم السعادة والحب نحوه، ونظر له مدحت وعلى وجهه البسمة وقال :

ـ جزاك الله خيرا يا باشا .

ـ مهما قدمت له فهو أقل بكثير مما قدمه لمصر التي نحبها وضحى من أجلها . . لقد حاول الأطباء المصريون علاجه لكنهم يئسوا من إخراج الشاظية التي في ظهره . . وأصروا على علاجه في فرنسا .

وبدت الدموع تنهمر من أعينهم لفترة ، وبعد ذلك جفف فاروق عينيه وقال :

ـ نحن ذهبنا إلى منزله ولم نجد والدته . . أين ذهبت؟

ـ تركت المنزل لتعيش مع شقيقتها في السكاكيني لحين رجوعهما . . وأنتم تعلمون أن خيري وحيد والديه .

ونهض الجميع بعدما جففوا أعينهم، وحيوا نهاد باشا وانصرفوا،

وذهبوا لزيارة عبد المجيد حسن (طالب الطب البيطري) الذي داهمه المرض.

***

obeikandl.com

obeikandl.com

(23)

في يوم السبت 2 أغسطس 1952م وقعت المظاهرات في كفر الدوار، وإن العمال اعتدوا على رجال البوليس وسقط بعض القتلى من العساكر خلال محاولة لمنع انتشار الاضطرابات أو إشعال الحرائق، وصل الخبر مجسما كما لو أن عملا مضادا بدأ يدبر أمرا ضد حركة الضباط، وقال البعض أنهم شيوعيون.

وقد وصلت التقارير وكتبت بأقلام رجال الأمن السابقين في عهد الملك (البوليس السياسي) بأن أي تهاون في مواجهة العمال سوف يؤدي إلى انتشار الاضطرابات في مناطق التجمع العمالية في شبرا الخيمة والمحلة الكبرى وغيرها، وأن المقبوض عليهم مأجورون من جهات غير معلومة.

وتم تشكيل مجلس عسكري انعقد في مكان الحادث برئاسة البكباشي عبد المنعم أمين، وتم التحقيق معهم، وبعد الانتهاء مما نسب إليهم أصدر حكم المجلس بإعدام العاملين مصطفى خميس ومحمد البقري، وبراءة الآخرين، وتم التصديق على الحكم، وغير

اسم (البوليس السياسي) إلى (المباحث العامة) وكان هذا أول حادث بعد عشرة أيام من قيام حركة الضباط .

***

اتصل أحد أعضاء مجلس قيادة الحركة بعبد الرحمن عزام باشا الأمين العام للجامعة العربية ، وقال له :

ـ إن مجلس حركة الضباط ظل لمدة ست ساعات كاملة يناقش علاقة مصر مع مختلف الدول العربية . . وأنه يري ضرورة استقالتك من منصبك كأمين عام للجامعة العربية .

ولم يتمالك نفسه من الدهشة وبادر بقوله :

ـ أنا لست موظفا عند مصر حتى يطلب مجلس الحركة باسم مصر الاستقالة . . وعليك أن تعرف أن مجلس الجامعة العربية قد اختارني أمينا عاما بالإجماع . . وإنني في هذا المنصب أعمل لحساب كل الدول العربية الأعضاء في الجامعة .

وكان رده :

ـ ولكنك مصري أولاً . . وأنا مكلف بإبلاغك قرار مجلس حركة الضباط .

ـ إذا ما قررت الاستقالة . . فإنني سأبعث بها إلى مجلس الجامعة .

وفي مساء نفس اليوم أتصل به الصاغ صلاح سالم وكان هو الأخر عضو في مجلس قيادة الحركة ، وطلب زيارته في منزله بالعجوزة وقال :

ـ أنا أحمل لك رسالة هامة من زملائي أعضاء مجلس حركة الضباط .

وقال له وهو يرحب به :

ـ أنا أعرف الرسالة .

جاء الرجل يطلب هو الأخر الاستقالة من منصبة كأمين عام للجامعة العربية، وكان يتكلم بعصبية وهو ينقل نفس الرسالة من زملاء الحركة، وقال نفس الكلام الذي سمعه في التليفون، ولم تعجبه الطريقة التي نقل بها الرسالة، كان يتعمد أن يظهر أمامه وكأنه يصدر إليه أمرا بالاستقالة، وأن عليه أن يبادر بتنفيذ تعليماته فورا، وتمالك نفسه وهو يقول في هدوء :

ـ سأفكر في الموضوع .

وقفز الصاغ صلاح سالم من مكانه وهو يصيح :

ـ إحنا قلنا تستقيل . . يعني تستقيل .

وأبتسم ثم أخذ يهدئ من روعه :

ـ وأنا أرحب بك ضيفا في بيتي .

وكانت مسرحية سخيفة، عندما أخرج الرجل مسدسه من جرابه، ثم وضعه فوق المنضدة التي كانت أمامه، وابتسم وقال :

ـ ابعد هذا المسدس . . إنه لن يرهبني . . ويجب أن تعرف إنني في منصب الأمين العام للجامعة العربية . . ولست موظفا عند مصر وحدها . . ولكنني أعمل لحساب جميع الدول العربية .

ولم يعجب كلامه الصاغ صلاح سالم، فأخذ يعبث بأصابعه في زناد المسدس الذي كان يضعه أمامه على المنضدة، ثم التفت ناحيته وقال بنفس العجرفة والعنجهية:

ـ لن أغادر المكان حتى تكتب استقالتك.

وقال له في هدوء:

ـ أنت زي ابني. . وأنت هنا في بيتك على الرحب والسعة.

وأدرك الصاغ صلاح سالم أن تهديده بالمسدس لن يفيد، فأخذ القلق يراوده، وتزايد قلقه عندما قال له:

ـ هل تظن أن رجلا رأي الموت بعينيه عدة مرات عندما خرج مجاهداً في سبيل عروبته و بلده . . يمكن أن يخاف من مثل هذا المسدس.

وابتسم الصاغ صلاح سالم لأول مرة وهو يقول:

ـ ياباشا. . إننا نعرف تاريخك الوطني الطويل. . ولكنه قرار مجلس حركة الضباط.

وقال في هدوء:

ـ اطمئن. . سأحقق غرضك. . ولكن على طريقتي وبأسلوبي الخاص.

وهنا فقط هدأت أعصابه، ثم أستأذن في أن يتكلم في التليفون، وانتهت المسرحية السخيفة مع هذا الحديث التليفوني، وأصر عبد الرحمن عزام باشا على استقالته رغم وساطة السعودية، ورأي ألا

obeikandl.com

تكون استقالته سببا في تعكير صفو العلاقات الطيبة بين مصر والسعودية، ومرت عدة أشهر قبل أن تنكشف المناورة التي لعبها نوري السعيد باشا رئيس وزراء العراق لإبعاده عن الأمانة العامة للجامعة العربية.

***

obeikandl.com

obeikandl.com

(24)

رأس البكباشي جمال عبد الناصر أول محكمة لمجلس القيادة وكل أعضائها معه، واجتمع مجلس القيادة بكوبري القبة في مبني مجلس قيادة الحركة لمحاكمة البكباشي محمد حسني الدمنهوري من سلاح المشاة وشقيقه اليوزباشي حسن رفعت الدمنهوري من سلاح الفرسان والقائمقام رشاد مهنا الواصي على العرش ومعه بعض الضباط، وكانت التهمة الموجهة للبكباشي الدمنهوري سعيه بإغراء عسكري بخروجه عن الطاعة وسعي مع آخرين على إحداث فتنة بين القوات العسكرية، وأستقر رأي المجلس بالإجماع على إعدامه رميًا بالرصاص (فجر اليوم) أما المتهم الثاني اليوزباشي الدمنهوري أن الجناية التي ارتكبها هي علمه بوجود تصميم على فتنة وتأخره في الإبلاغ عنها، وأستقر رأي المجلس بالإجماع بطرده من الخدمة العسكرية وسجنه خمس سنوات بالليمان، أم المتهم الثالث القائمقام رشاد مهنا الذي تم القبض عليه بعد عزله من منصب الوصي على العرش وصدر الحكم عليه بالسجن المؤبد، والضباط المتهمين معه صدر ضدهم أحكام متفاوتة بالسجن، هكذا عومل زملاء السلاح وأحد ضباط الحركة،

وعلم أحمد أبو الفتح (رئيس تحرير جريدة المصري) بالأحكام التي صدرت على الضباط، واتصل بالبكباشي جمال عبد الناصر وزاد ضغطه عليه بحكم الصداقة المتينة بينهما من قبل قيام حركة الجيش كي يوقف تنفيذ حكم الإعدام للبكباشي الدمنهوري، ووعده بعدم تنفيذ حكم الإعدام وأستمر في السجن.

وكانت هذه الأحكام صدمة عنيفة للشعور العام ولكثير من الضباط الثوار، الذين تمت محاكمتهم ومن بينهم الضابط وحيد رمضان (الذي كان يحارب مع الصاغ جمال عبد الناصر في قوات الفالوجا) لأنهم وجدوه ينحرف بالحكم إلى غير غايته، وأشار الضابط وحيد أثناء المحاكمة إلى رواية يعرفها أكثر العسكريين، وإن لم يعرف سواد المصريين عنها شيئا، وهي سفر البكباشي جمال عبد الناصر إلى إسرائيل كطلب اليهود وإصرارهم على سفره بعد الهدنة (عام 1950م) حيث بقي نيفًا وشهراً في إسرائيل ليدل اليهود على مدافن قتلاهم في معارك الفالوجا بفلسطين.

***

ويصفى زملاءه لأنهم من الثوار وأولاهم الصاغ ثروت عكاشة وتم أبعاده عن مصر وسافر إلى فرنسا، وهو الذي تم في منزله وضع خطة حركة الضباط، وهو الذي رفض عضوية مجلس القيادة ليظل في سلاح الفرسان ويحافظ بذلك على ولاء السلاح لحركة الجيش، أما

البكباشي يوسف صديق هذا الرجل الملء بالشهامة والذي أنقذ حركة الضباط بتحريك رجاله قبل الميعاد المحدد أي الساعة الحادية عشرة مساءً، وكان الميعاد المتفق عليه الساعة الثانية عشرة (أي منتصف الليل) ولولا هذه الساعة لقبض على جميع ضباط الحركة، وينفيه خارج الوطن ويعيش في جنيف يبكى بعده عن مصر، وقبل أن يغادر البلاد تقابل مع قائد الجناح عبد اللطيف البغدادي وقال:

ـ لم تعد لنا شعبية . . لا عند الشعب ولا بين الضباط . . وعدد ضباط الحركة 90 ضابطًا فأصبحوا الآن 50 ضابطًا . . أين ذهب الأربعون ولم يمر على حركة الضباط شهرين . . أكيد زج بهم في السجون لأنهم من الثوار .

***

obeikandl.com

(25)

تتفق نادية مع زوجها لإدارة العزبة التي ورثتها عن أبيها الراحل، وكان شريف متوجسًا خفية من الوقوع في مشاكل مع عمها عبد الرحيم باشا، وكذلك خوفه من الفشل في الحصول على حقها، الأمل المنشود، إلا انه جازف أخيراً وقبل المغامرة بعد إن أطلعته على الأوراق الرسمية التي تركتها أمها لها وتأكد منها، وبمساعدة فاروق المواردي المحامي ينفذ الحكم القانوني باسترداد أرضها، ويذهب معها زوجها وابنتهما إلى العزبة ليكونا عاصفة عاتية على تراث عمها الباشا المتمسك بالأرض، واشتركا في إيقاظ روح الفلاحين وتجهيزهم لاستقبال الحدث والحصول على مكاسبه.

أما عمها الباشا فبواسطة قرون الاستشعار يعرف أن العاصفة أقوى من صلابته فيهمد بركانه ظاهريًا ويسلم لنادية (ابنة أخيه الراحل) أرضها، بينما هو ينفجر في الداخل باحثًا عن وسيله لكسر الواقع الجديد مستخدمًا أعوانه، سبع الليل (الداهية) ونبوية (الخارقة الجاسوسة) وزوجها مخيمر المنوم مغناطيسيًا بتأثيره، والعمدة المغلوب على أمره خوفًا منه، وأبو سريع شيخ الخفر، كل هؤلاء يشتركون في

مؤامرة صامته طويلة النفس لهدم ما حدث على رأس نادية و زوجها شريف والفلاحين.

استقبل نهاد شريف باشا ومعه الثوار فاروق وشريف ومدحت زميلهم خيري أبو عافية ووالده بمطار القاهرة، أثناء رجوعهما من فرنسا، ووجدوه جالسًا فوق كرسي متحرك يدفعه والده بيده، واحتضنه الجميع في شوق، وأحضر نهاد باشا أتوبيسًا سياحيًا صغيرًا كي يستقله الجميع، وأمر سائق سيارته بالتوجه إلى القصر وحده، وركب الجميع وتحرك الأتوبيس متوجها إلى منزل خيري أبو عافية في شارع حمدي بالظاهر.

***

زاد صراع عبد الرحيم باشا ومعه كبار الملاك لقيام حركة الجيش، وكان لا بد من إرهابهم وتلقينهم درسًا مرعبًا، فأصدر البكباشي جمال عبد الناصر قراراً بالقبض على عبد العزيز بك البدراوي وبعض كبار الملاك يوم السبت 6 سبتمبر 1952م، ثم أصدر قانون الإصلاح الزراعي يوم الثلاثاء 9 سبتمبر 1952م، وإلغاء الملكية، ولم يكتفي بذلك بل بحث عن فريسة يحدث القبض عليها دويا هائلاً، وتم العثور على من يحدث القبض عليه ضجة كبري، ففي يوم الأحد 14 سبتمبر 1952م تحركت القوات إلى مدينة مغاغة بمديرية المنيا وألقت القبض على الشاب عدلي الملوم الذي قيل إنه عند علمه بقانون تحديد الملكية

اقتحم مكتب ضابط البوليس وصرخ في وجهه متحديا الحكومة، وعائلة لملوم من أقوي عائلات الصعيد ومشهور عنها أنها كانت دائما تدافع عن مصالحها بقوة، فالقبض على أحد رجالها من الأمور التي تثبت مدي قوة السلطة واستعدادها للبطش بكل من يحاول الخروج على أوامرها، ومما يدل على أن القبض كان مرتبا، لأن في نفس اليوم أصدر وزير الداخلية فورا بمنح الضابط نوط الجدارة تقديرا لشجاعته.

وشكل مجلس عسكري لمحاكمة عدلي لملوم، وحدد يوم الخميس 18 سبتمبر 1952م محاكمة عدلي لملوم أمام المجلس العسكري حيث طلب (المدعي العام) الحكم بإعدامه، وكانت السيدة والدة المتهم قد طلبت حضور المحاكمة، فصدر الأمر للقوات التي تحرس مبني المجلس المحلي بمدينة المنيا الذي تحول إلى مكان للمحاكمة بأن تفتشها خوفًا من أن تكون تحمل مفرقعات أو مدفعا رشاشا، ومن الغريب أن الشاهد الأول وهو أهم شاهد إثبات يقرر أنه (يستنتج) أن ثورة عدلي لملوم سببها تحديد الملكية، وواضح من قوله أنه يستنتج وأن الاتهام هو استنتاج ولا يستند إلى حقائق واضحة وثابتة، وفي يوم الأحد 5 أكتوبر 1952م أعلن الحكم ضد عدلي لملوم وهو الأشغال الشاقة المؤبدة، وقابل عدلي الحكم بالضحك، وعلي أثر النطق بالحكم تم ترحيله إلى ليمان طرة.

وعلى أثر ذلك تقبل نهاد شريف باشا والباشوات قانون الإصلاح

الزراعي الذي أصدره ضباط الحركة، ولم يقدروا أن يفعلوا شيئًا بعد صدور الحكم على عدلي للوم، وعاش نهاد باشا في قصره يجتر ذكرياته مع الثوار أيام الاحتلال البريطاني.

***

obeikandl.com

(26)

وتم إعلان الجمهورية يوم الخميس 18 يونيو 1953م وتعيين اللواء محمد نجيب أول رئيس لجمهورية مصر، على الرغم من ذلك عاشت نادية وزوجها وابنتها في القصر بالعزبة حياة كانت مستقرة، فألحقا ابنتهما كريمة بإحدى المدارس الخاصة بمدينة أسيوط، ويقفا أمام مؤامرات عمها وسبع الليل، زاد جنون عمها بعد استيلاء الإصلاح الزراعي على الكثير من أملاكه، وقانون تحديد الملكية الجديد بـ 200 فدان، فأصبح مساو لابنة أخيه في أملاكها، رغم أنه تواطأ مع موظفي الإصلاح الزراعي، وبمعرفته وزع كمية كبيرة من الأفدنة على أقاربه وأصدقاؤه وكلها تحت حيازته كي يضلل المسؤولين الكبار.

الأمر الذي لا شك فيه أن الملكية الزراعية في مصر كانت تحتاج لإعادة توزيع ولتنظيم واسع وذلك لأن مصر بلد زراعي يعتمد الشعب في دخله العام على الإنتاج الزراعي، ولكن للأسف أن المشروع الذي وضعت خطوطه وبدأ التنفيذ فيه لم تتوفر للقائمين عليه لا الخبرة ولا الدراسة الكافية حتى يمكن أن يؤدي فوائده من حيث الانتفاع الشعبي، حيث أن نقل الأرض من أيدي كبار الملاك الأغنياء

الذين ملكوا المال والآلات والوسائل الكفيلة بالإنتاج القوي إلى أيدي المعدمين من الفلاحين دون مدهم بالوسائل اللازمة والضرورية لزراعة الأرض، زراعة على مستوي لا يقل عن زراعتها في أيدي ملاكها الأوائل قد أفضي إلى نتائج وخيمة على الاقتصاد القومي، لقد وجد الفلاح البسيط الذي كان حتى الأمس يعمل بالأجر نفسه مالكا لخمسة أفدنة، ففرح بذلك.

وعندما واجه الحقائق وتبين له أن هذه الأرض تحتاج إلى الآلات وتقاوي وسماد ومواشي لزراعتها، وجد نفسه عاجزاً عن القيام بهذه الأعباء، وأدي عدم إمداد الحكومة للملاك الجدد بالآلات الزراعية الحديثة والمواشي اللازمة إلى إيجاد اضطراب كبير في زراعة الأراضي التي نزعت من كبار الملاك ووزعت على المعدمين، ومن ذلك يتضح لنا أن القانون قد قصد به كسب تصفيق الفلاحين و الجماهير أكثر من أي أمر أخر، ولقد كان للارتجال والتسرع في إصدار هذا القانون أثره على مستقبل المحاصيل الزراعية في مصر، فلقد كانت مصر في النصف الأول من القرن العشرين تعتمد على نفسها بالنسبة للمواد الغذائية، بل إن قوات الحلفاء في مصر أثناء الحرب العالمية الثانية كان جزءاً كبيراً من تموينها الغذائي تشتريه من الإنتاج المصري، أبهر هذا القانون أنظار الشعب وجعله ينسي حرمانه من حرياته وحقوقه السياسية.

***

(27)

وتوالت الأزمات وأصدر البكباشي جمال عبد الناصر في يناير 1954م قرارات بحل الأحزاب ومصادرة أموالها وأملاكها وتحديد فترة انتقال للحكم مدتها ثلاث سنوات، وجاء تبرير ذلك لإقامة فترة الانتقال تمهيدا لإقامة حكم برلماني سليم، وعاشت مصر طول شهر فبراير 1954م ولا حديث للثوار فاروق وشريف ومدحت والمصريين إلا عن الأزمات التي تمزق العلاقات بين الرئيس محمد نجيب وجمال عبد الناصر، وأن التمزق زاد داخل الجيش، وتصارعت الآراء حول انسحاب المجلس وعودة الأعضاء إلى الجيش أم البقاء وعزل الرئيس محمد نجيب، أم إقامة شكل من أشكال الديموقراطية، ولم تكن الاجتماعات تنتهي إلى قرار.

وجاء يوم الأحد 21 فبراير 1954 وهو اليوم المخصص لاجتماع مجلس القيادة، وحضر محمد نجيب رئيس الجمهورية إلى مكتبه حيث من المقرر أن ينعقد الاجتماع، وبعد حوالي الساعتين لم يحضروا، وغادر محمد نجيب مبني مجلس القيادة متجهمًا، وفي صباح اليوم التالي أخذ الأعضاء يفدون على المجلس، ولم يحضر محمد نجيب رئيس

الجمهورية، وأثناء انعقاد اجتماع ضباط القيادة تسربت أنباء والمعروف أنها تسربت بناء على رغبة الرئيس محمد نجيب لتصل للمسئولين في الصحف والأنباء أن الرئيس نجيب قد حمل الضابط إسماعيل فريد خطابًا ليوصله لأعضاء مجلس القيادة، والخطاب يحوي قرار بالاستقالة من جميع مناصبه حرصًا على مصالح مصر.

واستمرت الاجتماعات في قيادة الجيش بكوبري القبة ليكن على مقربة من ثكنات الجيش، وكان جميع أعضاء المجلس في مقر القيادة، وأحس الأعضاء بحركة غير طبيعية وفوجئوا بأن ضباطًا من الثوار في سلاح الفرسان يقتحمون عليهم مقر قيادتهم ويقدمون لهم إنذارا، يطلبون فيه عودة الرئيس محمد نجيب إلى مركزه، وعودة جميع الضباط بما فيهم أعضاء المجلس إلى ثكناتهم بالجيش وتأليف وزارة تجري انتخابات لتعود الحياة الطبيعية الدستورية للبلاد وأسقط في يد جمال عبد الناصر، وأرتبك أعضاء المجلس وانهارت أعصاب أعضاء القيادة بعد أن علموا أن الإنذار نهائي، وأن سلاح الفرسان قد حرك الدبابات ووجه مدافعه صوب مجلس القيادة وأن السلاح ينوي نسف مبني قيادة كوبري القبة بمن فيه إذا لم يوجب المجلس لمطالب السلاح التي حددها في الإنذار، وكان الصاغ خالد محيي الدين عضو مجلس القيادة الذي يتمتع بأكبر نفوذ داخل سلاح الفرسان يجلس في ذلك الوقت في حجرة مجاورة فاستدعاه جمال عبد الناصر وعرض عليه إنذار من الضباط الثوار في سلاح الفرسان، وقال خالد:

ـ أنا لا أعرف من أمرهم شيئًا .

وتلفت البكباشى جمال عبد الناصر ولم يجد إلى جواره من يسيطر على أعصابه إلا الصاغ عبد الحكيم عامر، أما الباقون فقد انهارت أعصابهم واصفرت وجوههم وخارت قواهم فقال جمال :

ـ ما دامت هذه رغبة الضباط الثوار الذي يقولون أنها رغبة الشعب فعلينا أن ننفذها . . ويعود محمد نجيب إلى رئاسة الجمهورية . . وتتولى أنت يا خالد رئاسة الوزارة . . وتنفذ باقي طلبات الثوار فتجري الانتخابات . . وتلغي الأحكام العرفية .

فقبل الصاغ خالد محيي الدين اقتراحات جمال عبد الناصر، وأبلغها لزملائه الثوار أعضاء سلاح الفرسان الذين عادوا إلى ثكناتهم ينتظرون تنفيذ هذه القرارات .

***

قاد الثوار فاروق وشريف ومدحت العمال والطلبة مظاهرة كبيرة تطالب بسقوط الدكتاتورية وعند نهاية كوبري قصر النيل، هاجمت قوة من البوليس وقوات من البوليس الحربي المتظاهرين بوحشية وقسوة، وأطلقت النيران ورد بعض المتظاهرين بالمثل، وأصدرت وزارة الداخلية بيانًا بالحادث ، وقدر عدد المصابين بثلاثة عشر شخصًا، وأصيب ضابط البوليس صدقي العريان بطلق ناري في عنقه، كما أصيب عددًا من رجال البوليس ، وأصدر البكباشي زكريا

محي الدين وزير الداخلية بيانًا يعلن فيه إن الإخلال بالأمن سيقابل بكل شدة وعنف، ولكن هذا لم يوقف طوفان الثوار والجماهير في الشوارع.

وقف جمال عبد الناصر في صالة مبني القيادة وأعصابه متوترة عقب هذه الأحداث، وحضر بعض الضباط من أنصاره فأخبرهم بمظاهرات الجماهير والثوار عند كوبري قصر النيل وإنذار سلاح الفرسان وبما تم الاتفاق عليه، وقالوا مستحيل، وفي نفس الوقت أتجه بعض ضباط جمال إلى منزل الرئيس محمد نجيب وشهروا في وجهه المسدسات وأرغموه على مصاحبتهم بملابس المنزل، واختطفوه في إحدى سيارات الجيش إلى جوف الصحراء بغية اغتياله إذا لزم الأمر، وبات الأمر يهدد بنشوب حرب أهلية بين وحدات الجيش، وكتب جمال خطابًا وكلف خالد محيي الدين أن ينقله لنجيب ليوقعه (وكان الخطاب يحوي عدول محمد نجيب عن الاستقالة وقبوله العودة للعمل كرئيس جمهورية) وخرج خالد بالخطاب متوجها إلى حيث أختطف محمد نجيب.

***

(28)

كان الثوار فاروق المواردي وشريف السحرتي ومدحت شوكت ملتزمين بزيارة زميلهما في الكفاح خيري أبو عافية في منزله بعد الإصابة التي جعلته لم يتحرك، والطالب عبد المجيد حسن الذي داهمه المرض بعد الإفراج عنه من السجن، وبعد ذلك يذهبون لزيارة نهاد شريف باشا في قصره بالمريوطية بناء على رغبته، وكان يشعر بسعادة غامرة عند لقائهم، ووصلت لهم أنباء مبهمة أثناء وجودهم بالقصر، عن وجود حركات قامت داخل صفوف الجيش، وأن المرور ممنوع بين العباسية ومصر الجديدة، وتجمع الأهالي يتبادلون الأحاديث، وأخذت التجمعات تزداد رويداً رويداً، وهمس أحد المارة بأن الرئيس محمد نجيب قد أختطف، وسارت همسته بين الجماهير، واضطربت القلوب ورجفت فصاح أحد الأفراد (أين نجيب) وسرعان ما تردد صياحه في الجو، وأخذ الجميع يتساءلون (أين نجيب) وهتف شخص (نريد نجيب) وكان هتافه كالجذوة التي اندلعت فسرعان ما كانت القاهرة كلها تردد هتافات مدوية (نريد نجيب) وخرج الثوار والأهالي جميعا إلى الشوارع وانضم إليهم عساكر

البوليس وبعض جنود الجيش والتجار وطافوا في مظاهرات تهتف لمحمد نجيب حبيب الشعب وبطل الثوار، ومنقذ مصر، وعدو الديكتاتورية، واشتدت المظاهرات ساعة بعد أخري، وتحولت الهتافات من المطالبة بنجيب إلى سقوط جمال عبد الناصر عدو الشعب، ولم ينتظر جمال عبد الناصر حتى يعود أعضاء المجلس فأبلغ محطة الإذاعة أن تذيع أن الرئيس محمد نجيب قد عاد، وأن تعمل الإذاعة على تكرار إذاعة هذا النبأ كل خمس دقائق، وتطلب من الجماهير أن ينصرفوا إلى أعمالهم ويتركوا التظاهر.

وعندما علم فاروق وشريف ومدحت من الإذاعة بعودة محمد نجيب فرحوا وهللوا، ونهضوا وحيوا نهاد باشا وانصرفوا من القصر متجهين إلى المواطنين بعد أن زاد حماسهم واشتد الهتاف لنجيب، وتجمعت الجماهير في ميدان عابدين إذ قيل أن نجيب سيحضر إلى القصر، وانتظر الثوار والجماهير هناك حيث امتلأ الميدان بهم ولما لم يحضر اتجهوا في مظاهرة ضخمة إلى حلمية الزيتون حيث يقيم محمد نجيب في منزل بسيط من طابق واحد، وأخذوا يحيون محمد نجيب وقد تدفق حماسهم، وفي هذه الأثناء تحرك سلاح الهجانة المصري وفيه الكثيرون من السودانيين ووصل إلى منزل محمد نجيب، وأعلن أنه سيتولى حراسة محمد نجيب، كما توافد على داره كثير من الضباط الثوار، وأصبح منزل نجيب قبلة يفد إليها الناس من كل مكان.

وظلت القاهرة في فوضي طوال الليل، واستمرت المظاهرات، وأقيمت الأفراح، وكانت سعادة ونشوة النصر في كل مكان، ولو أن فريقًا من هؤلاء الضباط أراد في تلك الليلة أن يقضي على أعضاء مجلس قيادة الحركة لكان سهلاً ميسوراً، ولكن الثوار المصريين بطبعهم لا يميلون إلى ارتكاب الحوادث الدموية، ولذلك انصرفوا إلى المشاركة في أفراح الشعب.

***

في الصباح الباكر تجددت المظاهرات بقيادة فاروق وشريف ومدحت وأخذت تهتف لنجيب ثم اتجهت جميعا إلى ميدان عابدين تنتظر قدومه إلى القصر، وخرج نجيب من منزله تحف به مظاهرات متصلة مستمرة من المنزل حتى وصل إلى قصر عابدين، وكانت القاهرة قد خرجت جميعها تحيي نجيب وتهتف بحياته، ولما وصل إلى الميدان أشتد حماس الجماهير وتعالت هتافاتهم تشق أجواء الفضاء، وبين جموع المتظاهرين وقف الثوار فاروق وشريف ومدحت ومعهم عبد القادر عودة يشيدون بهتاف المتظاهرين الذين اشتد حماسهم، وظل نجيب واقفًا في شرفة القصر ساعات يحيي الجماهير، وفي هذه الأثناء حدث اعتداء من قوات الأمن على المحتشدين في الميدان، فرفع عبد القادر عوده قميص أحد المعتدي عليهم وصاح:

ـ الدم يا نجيب. . الدم يا نجيب.

فدعاه إلى الشرفة، وصعد عبد القادر حيث خطب في الجماهير بحماس شديد، وبعد الانتهاء طلب منهم الانصراف.

***

وحدث بعد ذلك حوادث كثيرة، فقد حدث في فترة شهر مارس 1954م أن اشترك اثنان من الثوار وهما يعملان بالمحاماة في المطالبة بالحريات وكان أولهما عبد القادر عوده الذي انضم للمتظاهرين ترحيبًا بعودة اللواء محمد نجيب بعد إبعاده وخطب في الجماهير، والثاني أحمد حسين وكان قد أرسل برقية شديدة اللهجة إلى جمال عبد الناصر يطالبه بتحقيق الحريات فأمر باعتقالهما، وضربوهما بالأحذية حتى كان صراخهما يسمعه جميع من في السجن.

***

onelkandl.com

(29)

وبدأ محمد نجيب منذ عودته إلى رئاسة الجمهورية يؤكد لمن يجتمع به ضرورة إجراء انتخابات حرة، وعودة الضباط إلى ثكناتهم، والمطالبة بإلغاء الأحكام العرفية، وانتهز نجيب فرصة إقامة حفلة في نادي ضباط الجيش تنقلها الإذاعة، ووقف وأعلن فجأة أن يري ضرورة العودة بالبلاد إلى الأوضاع الطبيعية، وذلك بإلغاء الأحكام العرفية، وإجراء انتخابات حرة على ضوئها تتألف الوزارة التي تتسلم مقاليد الأمور، وقد كان خطاب نجيب مفاجأة مذهلة جديدة لأعضاء المجلس، ومنع جمال عبد الناصر من نشر الخطاب، وكانت الإذاعة قد أوقفت نقل الخطاب عندما بدأ يتحدث عن الدستور، ولكن أنباء الخطاب وصلت للجماهير، فزاد حماسهم وأشتد ساعدهم، وفي هذه الأثناء تقدم الضباط الثوار من سلاح الفرسان مرة أخري بمطالبهم التي سبق أن قدموها، وهي إلغاء جميع الأوضاع الشاذة، وإجراء انتخابات سريعة، وعودة الضباط إلى ثكناتهم، ولم يجد عبد الناصر مفراً من الرضوخ لمشيئة الشعب الذي تجمعت إرادته في المطالبة بعودة الأوضاع الطبيعية، وزوال الحكم الدكتاتوري بكافة أوضاعه وأساليبه الشاذة.

***

اجتمع مجلس قيادة الحركة يوم الجمعة 5 مارس 1954م وأصدر قرارات قضت بإلغاء الرقابة على الصحف، واتخاذ الإجراءات فوراً بعقد جمعية تأسيسه منتخبة بطريق الاقتراع العام المباشر على أن تجتمع خلال يوليو 1954م ويكون لها مهمتان:

الأولى: مناقشة مشروع الدستور الجديد وإقراره.

الثانية: القيام بمهمة البرلمان إلى الوقت الذي يتم في عقد البرلمان الجديد وفقًا للأحكام الدستور الذي ستقره الجمعية التأسيسيه.

وقرر المجلس أيضًا إلغاء الأحكام العرفية قبل إجراء الانتخابات للجمعية التأسيسيه، وكانت هذه القرارات انتصارا للاتجاه الديمقراطي، وزاد ضغط الرئيس محمد نجيب للإفراج عن المعتقلين، وخرج بعض من حكمت عليه محكمة (الثورة) من السجن، إبراهيم عبد الهادي إلى منزله، فؤاد سراج الدين إلى مستشفى مجدي، إبراهيم فرج بالقصر العيني، وأصدر قرار بالإفراج تباعًا عن ضباط المدفعية الذين حكم عليهم مجلس القيادة.

وأحدثت هذه القرارات أثرها بين الثوار فاروق الموارديي وشريف السحرتي ومدحت شوكت والعمال والطلبة، وعادت الحيوية إلى الصحافة بعد رفع الرقابة، وظهرت مقالات جديدة عن حقوق الشعب وحرياته كتبها الدكتور وحيد رأفت وآخرون، ووضح أيضًا في الصحافة التي جنح بعضها إلى الهجوم في شدة على تصرفات بعض

الضباط كمجلة (الجمهور المصري) التي هاجمت سلوك ضباط البوليس الحربي الأمر الذي زرع بذور الخوف في نفوس بعض الضباط، وجعلهم يعتقدون أن العودة إلى الديموقراطية تعني الإضرار بهم ومحاسبتهم على ما ارتكبوا من مخالفات إلى جانب فقدانهم الميزات التي كانوا يتمتعون بها.

في يوم الاثنين 8 مارس 1954م أبلغ الرئيس محمد نجيب مجلس القيادة أن له طلبات جديدة، وهي أن يتولى من يتم انتخابه رئيسًا للجمهورية سلطات رئيس الجمهورية البرلمانية أي يستطيع في غياب المجلس النيابي إصدار مراسيم بقوانين، ويتم انتخاب رئيس الجمهورية بالانتخاب الحر المباشر وقبل إعلان الدستور، كما يجب أن يحدث استفتاء للمصريين حول مشروع الدستور الجديد، أما الطلب الأخير فهو عودة الضباط بما فيهم أعضاء القيادة إلى الثكنات.

وقد وقعت شروط الرئيس محمد نجيب على جمال عبد الناصر وقوع الصاعقة، واضطرب الحاضرون، وبدأت المحاولات باللين ثم بالعنف لإقناع نجيب بالتنازل عن طلباته ولكنه أصر، وانتهى الاجتماع بإعادة جميع سلطات نجيب إليه، وعاد جمال نائبًا لرئيس الوزراء، وجمال سالم إلى وزارة المواصلات بعد أن كان قد شغل منصب نائب رئيس الوزراء بضعة أيام، وكان الثوار المعتقلون لا يزالون في السجون والمعتقلات، وكان عددهم يقدر بالآلاف،

فاشتدت حملة الكتاب والطوائف والنقابات مطالبة بسرعة الإفراج عنهم، وكانت مصر كلها لا شغل لها إلا المطالبة والعمل المستمر على تحقيق حريات الشعب.

***

واستعاد الرئيس محمد نجيب نشاطه وأخذ يطوف في كل مكان يدعوا للحرية، وذهب إلى مدينة ميت غمر (دقهلية) ورافقه البكباشي جمال عبد الناصر وبعض ضباط حركة الجيش كي يفتتح مبرة محمد علي (التي أمرت ببنائها الأميرة فوزية شقيقة الملك فاروق على نفقتها الخاصة قبل قيام حركة الجيش) واستقبل نجيب استقبالاً حاراً من الثوار والجماهير بالمدينة، والفرحة كانت في كل منزل بقدومه، وبعد ما قص شريط افتتاح مبرة محمد علي اعتلى بلكون أحد العمارات بالدور الأول وتقع أمام المبرة وخطب في الثوار والجماهير، وعقب الانتهاء صفق له بحرارة شديدة، والزغاريد كانت تنطلق من أفواه النسوة بكثرة، وبعد ذلك بدأ يخطب عبد الناصر إلا أن الثوار من الشباب قذفوه بالحجارة، وكان بجوار العمارة شونة لجمع الغلال وبها بوص قاموا بإشعال النار فيه، واحتضنه أحد أعيان مدينة ميت غمر، ولولاه لقتل الثوار جمال في نفس اليوم، ونجحت زيارة الرئيس محمد نجيب وأستقبل في المدن التي زارها بحماس شديد، وكذلك دعم الصاغ خالد محيي الدين في كل أحاديثه عن الديموقراطية والنهضة الشعبية القوية.

***

أذاع الرئيس محمد نجيب يوم الثلاثاء 23 مارس 1954م تصريحات جديدة أكد فيها تمسكه القوي بإعادة الحياة النيابية، وإقامة جمعية تأسيسية، وأن الأحكام العرفية ستلغي ولن تبقي بعد يوم الجمعة 18 يونيو 1954م، (كما ورد في قرارات 5 مارس) ولن يبقي في المعتقلات إلا من صدر ضده حكم قضائي من المحاكم العادية، والاعتداء على اثنان من الثوار أحمد حسين المحامي وعبد القادر عودة المحامي محل تحقيق سريع وحازم ولا بد من محاسبة مرتكبي هذا الاعتداء.

اجتمع مجلس قيادة الحركة يوم الخميس 25 مارس 1954م، واستمر الاجتماع خمس ساعات متصلة ، وأعلن الصاغ صلاح سالم للشعب قرارات 25 مارس والتي تقضي الآتي:

1. يسمح بقيام الأحزاب.
2. مجلس قيادة الحركة لا يؤلف حزبًا.
3. لا حرمان من الحقوق السياسية حتى لا يكون هناك تأثير على الانتخابات.
4. تنتخب الجمعية التأسيسية انتخابًا حرًا مباشراً بدون تعيين أي فرد ويكون لها السيادة و السلطة الكاملة، وتكون لها سلطة البرلمان كاملة والانتخابات الحرة.
5. حل مجلس القيادة في 24 يوليو المقبل باعتبار حركة الضباط قد انتهت وتسلم البلاد إلى ممثلي الأمة.

6 . تنتخب الجمعية التأسيسية بمجرد انعقادها .

كان إعلان هذه القرارات بهذه الصورة يعتبر انتصاراً للديموقراطية، وهلل الثوار فاروق المواردي وشريف السحرتي ومدحت شوكت والجماهير لهذه القرارات، وخرجوا إلى الشوارع في مظاهرات لهذا الحدث الذي بعث الفرحة والبهجة في نفوسهم .

وكانت زيارة الملك سعود تتم في وقت غير مناسب مطلقا لحركة الأحداث المتتابعة، وأنشغل الرئيس محمد نجيب باستقباله والتنقل معه والحفاوة به، وكانت هذه فرصة شعبية ليخرج فيها الثوار والجماهير إلى الشوارع بحجة تحية الضيف العربي، وكانوا دائمًا يرددون الهتاف لمحمد نجيب حبيب الثوار والجماهير، وفي الإسكندرية عندما كان الملك سعود والرئيس نجيب في منزل الرئيس شكري القوتلي تجمعت المظاهرات وفي مقدمتهم الثوار فاروق وشريف ومدحت وهتفوا لنجيب والنحاس، واستمرت هذه المظاهرات تتجدد كل يوم في كل مكان يوجد فيه الملك سعود .

ومن المؤسف أن عبد القادر عودة المحامي الذي كان من الثوار رجلاً فاضلاً ومفكراً حراً، قد حوكم بمحكمة الشعب التي رأسها الضابط جمال سالم وحكم عليه بالإعدام، ولم يوقع عليه الرئيس محمد نجيب، ونفذ فيه الحكم .

***

(30)

وأصبح الصباح وانتشرت فرق من ضباط الحرس الوطني الذي شكله البكباشي عبد الناصر في الطرقات يقودون مظاهرات متفرقة، وعقد ضباط من أنصار جمال اجتماعات رسموا فيها خطط الإخلال بالأمن، وإحداث فتنة يتمكن عن طريقها جمال من إلغاء القرارات الدستورية، وفرض نظام ديكتاتوري سافر، وألقي ضباط الحرس الوطني أربع قنابل انفجرت في أنحاء القاهرة فأحدثت دويا هائلا أفزع الناس وأدخل الرعب في النفوس، والحرس الوطني كان عبارة عن تجمع لأعداد من الشباب يرأسهم ويشرف على تكوينهم أحد أعضاء مجلس القيادة، وخصصت الحكومة قطارات وسيارات من سيارات الجيش لنقل أعضاء الحرس الوطني من الأقاليم وجمعهم في القاهرة لتنفيذ المؤامرات، وكان صراعا رهيبا بين الثوار والجماهير وبين الحرس الوطني، وبعض المرتزقة من هيئة التحرير.

***

في صباح يوم الاثنين 29 مارس 1954م انتشرت المظاهرات مرة أخري تجوب القاهرة بواسطة سيارات الجيش تواصل هتافاتها المشينة،

وكان الدكتور عبد الرازق السنهوري باشا أعلم علماء القانون في مجلس الدولة ففوجئ بدخول ضابط شاب عليه في مكتبه يقول له :

ـ إن مظاهرات قادمة صوب مجلس الدولة . . وأري أن تخرج إلى المتظاهرين تخطب فيهم لتهدئتهم .

وقال في دهشة :

ـ أنا أخطب في المتظاهرين ! ! ليس من المعقول . . وأنت ضابط إن تلجأ إلى أنا لأهدئ المتظاهرين . . وبإمكانك باستعمال التليفون أن تستحضر قوة تفرق المظاهرات وتحمي المجلس من أي مظاهرة .

ولكن الضابط جادل السنهوري باشا، وكانت في هذه اللحظة قد وصلت المظاهرات إلى فناء مجلس الدولة، فدفع الضابط السنهوري باشا دفعا وطلب منه أن يخطب في المتظاهرين، وحاول السنهوري باشا الإفلات من يد الضابط فما كان منه إلا أن أخرج مسدسه وأطلق طلقتين في الهواء، ويبدو أن هذه كانت الإشارة التي أتفق عليها لبدء الهجوم ولتحديد شخصية السنهوري باشا للمتظاهرين الذين كانوا جميعًا من الدهماء الذين لا يعرفونه من قبل إذ هجم المتظاهرون فجأة على الرجل وانهالوا عليه ضربا، وتتطاير دم الدكتور السنهوري باشا وعلق بحائط المبني تسجيلا للجرم الفظيع، ورغم تألم الرجل وتوجعه لم يرحمه المتظاهرون بل جروه حتى نزلوا به إلى فناء المجلس، وبعد هذا الاعتداء الوحشي على أكبر حصن للعدالة في مصر، وعلى أكبر

شخصية قضائية، وأعلم علماء القانون، توجه الصاغ صلاح سالم إلى المجلس وادعي أنه ذهب ليحمي الدكتور السنهوري باشا وقال:

ـ لولا حضوري لأجهز المتظاهرون عليه.

والمفهوم أنه ذهب ليمتع نظره ويشفي حقده بما أصاب الرجل الذي تجرأ على تحريض الرئيس محمد نجيب على المطالبة بالدستور، وعقب ذلك رفض الدكتور عبد الرازق السنهوري باشا مقابلة البكباشي جمال عبد الناصر عندما زاره بعد الاعتداء عليه، واتهمه أمام النيابة بتدبير الحادث، وبهذا الاعتداء على أكبر صرح للقانون في مصر وعلى رئيس مجلس الدولة، ويمكن القول بانتهاء القانون وبدء عصر الغاب.

كان الرئيس محمد نجيب قد رجا الملك سعود أن يصحبه معه عند سفره، فلما عرض الملك هذا الطلب على البكباشي جمال عبد الناصر رفضه بحجة أن سفر نجيب سيسفر عنه، أن جمال، قد نفاه من مصر، وعاني نجيب الكثير خلال الأيام الماضية نتيجة المجهود الضخم الذي بذله، وقد أعياه التعب، وحطمت الهزيمة معنوياته، وقتل الحزن على نكسة البلاد روحه، ثم زاد على ذلك التهديد المستمر باغتياله، ولذلك عندما ذهب إلى مطار القاهرة يودع الملك سعود كان بادي الشحوب منهوك القوي، وصعد الملك سعود إلى الطائرة، وصعد خلفه الرئيس محمد نجيب وأطال المكوث داخل الطائرة ولم يشأ أن يغادرها، وكان يعتقد أن الدقائق التي تمر عليه داخل الطائرة هي آخر

دقائق من حياته، وكان يتمني لو أن الطائرة أقلعت به، ولكن الطائرة لم تقلع فنزل هو وعبد الرحمن عزام باشا (أمين عام الجامعة العربية سابقا) كان ينزل درج الطائرة وكأنه في كل خطوة يخطوها إنما يخطو نحو نهايته، حتى إذا ما وصلت قدماه إلى الأرض مادت الدنيا به وسقط مغشيا عليه، ونظر إليه عبد الناصر وصلاح سالم وتركاه وانصرفا دون أن يعنوا بنقله إلى منزله وتكاثر الناس وحملوه إلى إحدى حجرات المطار وراحوا يرجون الدكتور نور الدين طراف أن يتولى الإشراف عليه، وأفاق الرئيس محمد نجيب وأستعاد أنفاسه فأخذ يقول:

ـ الله يلعنك يا جمال . . الله يلعنك يا جمال.

ثم علا الزبد منه وراح في غيبوبة، ونقل بعد ذلك إلى منزله حيث ظل تحت العلاج عدة أسابيع.

***

(51)

كان منتصف السابعة مساء من يوم الاثنين 29 مارس 1954م هو الوقت الذي بدأ فيه ناقوس الحكم الديكتاتوري يدق ويعلن البكباشي جمال عبد الناصر ديكتاتورا على مصر، ومنذ ذلك اليوم بدأ يحكم مصر حكمًا دكتاتوريًا رهيبًا، ومنذ ذلك اليوم يسخر كل وسائل الانتقام لتصفية كل من وقف في وجهه، ورغم كل ألوان البطش والإرهاب أصر الطلبة على الإضراب والهتاف بسقوط الديكتاتورية، والمطالبة بعودة الحريات والدستور، وصدر قرار يوم السبت 3 إبريل 1954م بتعطيل الدراسة في جميع كليات جامعة فؤاد الأول (القاهرة حاليًا) والمعاهد التابعة لها مدة أسبوع، كما قررت جامعة إبراهيم باشا (عين شمس حاليًا) تعطيل الدراسة في جميع كلياتها ومعاهدها حتى نهاية الأسبوع أيضًا واعتقل البكباشي جمال عبد الناصر مئات الطلبة.

وفي يوم الثلاثاء 6 إبريل 1954م وصل الصاغ خالد محيي الدين عضو مجلس القيادة المعروف باتجاهاته الدستورية، إلى باريس، بدعوة القيام بدراسات، وبعد ذلك شرد الضباط الثوار من سلاح الفرسان

تشريدا، فحكم بالسجن على 25 ضابطا، وحكم على اليوزباشي أحمد المصري بالسجن خمسة عشر عاما، وأخرج أكثر من مائة وعشرين ضابطًا رفدًا من الخدمة ، وانتهي الصراع ووضع جمال عبد الناصر الضباط الذين وقفوا بجانب الرئيس محمد نجيب في السجون، أما الضباط الذين وقفوا بجانبه في هذا الصراع وتفانوا في نصرته فكان مصيرهم بعد ذلك السجن أو الإبعاد ، وسقط الدكتور عبد الرازق السنهوري باشا من رئاسة مجلس الدولة بحكم قانون منع الوزراء الحزبيين من ممارسة العمل .

وعندما غادر الرئيس محمد نجيب الفراش كان الموقف قد تغير تمامًا، وحضر إليه البكباشي جمال عبد الناصر وطالب بتشكيل الوزارة فكلفه بها بعدما أبلغه بأنه لن يحضر اجتماعات مجلس القيادة، وشكلت الوزارة يوم السبت 17 أبريل 1954م ووقع عليها محمد نجيب رئيس الجمهورية بعد قبوله التخلي عن رئاسة الوزراء، وفي يوم السبت 1 مايو 1954م هرب بعض الضباط الثوار المعارضين لديكتاتورية عبد الناصر إلى ليبيا وسافر عضواً من مجلس القيادة إلى هناك ليتسلمهم فرفض الملك السنوسي مقابلته، كما رفض تسليمهم إليه، كل هذه الأحداث مرت أمام البكباشى محمد أنور السادات وآثر الصمت حتى لا يصطدم بالبكباشى جمال عبد الناصر لأنه يعرف حقده على الثوار من قبل قيام حركة الضباط .

في يوم الثلاثاء 27 يوليو 1954م وقع الرئيس جمال عبد الناصر اتفاقية عسكرية مع وزير حربية إنجلترا تنظم جلاء القوات البريطانية عن منطقة قناة السويس والعلاقات العسكرية مع بريطانيا، وكانت المعاهدة تشتمل على شروط سبق لصدقي باشا والنحاس باشا رفضها، وأهمها قبول مصر عودة القوات البريطانية إذا حدث تهديد بشن حرب ضد تركيا، وكانت مصر في عهد النقراشي باشا وعبد الهادي باشا وصدقي باشا والنحاس باشا قد رفضت أي ارتباط عسكري، كما رفضت أن يرتبط الجلاء بالدفاع المشترك بين مصر وبريطانيا، ومما هو جدير بالذكر أن اتفاقية الجلاء قد نصت أن يتم في عام 1956م وهو العام الذي كانت معاهدة 1936م قد نصت على أنها تنتهي بعد عشرين عامًا أي عام 1956م، وأن النحاس باشا قد ألغى هذه المعاهدة ساعيًا إلى إتمام الجلاء الفوري، الأمر الذي يدل على أن الاتفاقية التي وقعها الرئيس جمال عبد الناصر لا تأتي بجديد فقد نصت على بقاء القوات على أرض مصر حتى عام 1956م كما جاء في المعاهدة التي كان النحاس باشا قد ألغاها.

وفي يوم الثلاثاء 26 أكتوبر 1954م ألقى البكباشى جمال عبد الناصر خطابًا سياسيًا في ميدان المنشية بالإسكندرية، وأثناء إلقائه الخطاب فوجئ الجماهير برصاص ينطلق، وساد الهرج والمرج، وبعد لحظات ألقى القبض على أحد الشبان ويدعى محمود عبد اللطيف، ولم تصب الرصاصات عبد الناصر، وتم استخدام هذه الواقعة

الإثبات العلاقة المزعومة بالجماعة المحظورة للقضاء على شعبية (رئيس الجمهورية) وأرسل الرئيس محمد نجيب برقية إلى البكباشي جمال عبد الناصر مستفسراً عن صحته ، وأرسل له مندوبًا، وذهب إليه مباشرة في منزله، ولم يقابله خلال هذه الشهور الطويلة إلا مرتين ووجد عنده محمد حسنين هيكل، وسأل جمال عن السبب في عدم نشر استفساري عنه وإرسال مندوبًا للسؤال عنه في الصحف، وكان جوابه محاولة إلقاء التبعية على كثرة المشاغل والمسؤوليات، ولكن معرفة وخبرة الرئيس محمد نجيب جعلته يقول له :

ـ هل تريدون أن توهموا الناس بأني راض عن هذا العمل؟

واستطرد قائلاً له :

ـ عبثًا تحاول تلويث سمعتي بهذه الأعمال الإرهابية . . فإن يدي كانت وستظل نظيفة وليست مثل بعض (الأيدي القذرة) التي تعمل في الظلام .

وخرج وأنه واثق بأن مؤامرة جديدة تدبر ضده، وكان هذا أخر لقاء بينهما، ولم يقابله حتى يوم وفاته .

***

(32)

في يوم الأحد 14 نوفمبر 1954م توجه الرئيس محمد نجيب إلى مكتبه في قصر الجمهورية (بعابدين) فوجد بعض ضباط البوليس الحربي على باب القصر، وتبعه اثنان منهم إلى المكتب، فنهرهما، فقالا له:

ـ عندنا تصريحًا بالدخول من كبير الياوران بالنيابة الأميرالاي حسن كامل.

وبحث عنه فلم يجده، ونهر الضابطين فخرجا، واتصل بالبكباشي جمال عبد الناصر تليفونيًا، وقال له سيرسل اللواء عبد الحكيم عامر، وبعد فترة قليلة وصل اللواء عبد الحكيم عامر، ومعه الطيار حسن إبراهيم، وقال له في خجل واضح وبصوت خافت:

ـ إن مجلس حركة الضباط قرر إعفاءكم من منصب رئيس الجمهورية.

وقال لهم في لهجة شديدة:

ـ لن أستقيل الآن. . لأني بعد ذلك سأصبح مسئولاً أمام التاريخ عن ضياع صلة السودان بمصر. . أما إذا كان الأمر إقالة فمرحبًا لأنكم

تعفونني من مسئولية لم يتحملها ضميري.

وخرج معهما حاملاً المصحف وحده من المكتب، وركب مع الطيار حسن إبراهيم سيارة اتجهت بهما إلى المرج، وقفت السيارة أمام منزل زينب الوكيل حرم مصطفى النحاس باشا، والذي أعدته ليكون لها استراحة ريفية (بعدما صودر من حركة الجيش) وخرج الرئيس محمد نجيب من السيارة وقال له اللواء عبد الحكيم عامر وهو يودعه:

ـ إن إقامتك بالمنزل لن تزيد عن بضعة أيام.

واستقل اللواء عبد الحكيم عامر السيارة وانصرف، وبعد ذلك تم إرسال زوجته وأولاده ليعيشوا معه، وتم تعيين حراسة على المنزل من 200 جندي و 4 ضباط من الجيش، ولا يسمح له باستقبال زائر إلا بحضور ضابط يبقى معه حتى انتهاء الزيارة، وأعلن في نفس اليوم أن البكباشي جمال عبد الناصر يقوم بمهام رئيس الجمهورية (لحين إجراء الانتخابات) خلفًا للرئيس محمد نجيب.

***

(33)

اجتمع البكباشي جمال عبد الناصر بأعضاء مجلس الحركة يبحثون مسألة بناء برج لاسلكي للاتصالات العالمية التي تخدم وزارة الخارجية وإدارة المخابرات، وقيل لعبد الناصر بأنه سبق وأن تم شراء بعض المعدات، ولما احتج بأنه ليس هناك أموال موجودة في الميزانية لهذا الأمر، قيل له إن المال جاء من اعتماد أمريكي خاص مع مايلز كويلز عميل المخابرات المركزية الأمريكية المقرب من جمال عبد الناصر ونشر في كتاب (لعبة الأمم) والذي ذكر فيه صراحة أنه سلم حقيبة ضخمة عبئت بقطع نقدية فئة المائة دولار وتقدر بثلاثة ملايين دولار للضابط حسن التهامي في منزله بالمعادي ليوصله إلى جمال عبد الناصر كهدية شخصية له، وحسن التهامي كان أحد الذين اعتمد عليهم عبد الناصر في حركاته السرية، وتم إيداع المال في خزينة إدارة المخابرات، وأمر عبد الناصر بعدم صرف أي شيء منه إلا بإذن منه، وفي النهاية بني البرج، وكان مخططًا له في الأصل أن يكون برجًا بسيطًا وعمليًا يعلوه هوائي لاسكي وشبكة أسلاك تنحدر إلى أسفل عبر وسطه، لكن عبد الناصر قرر أن يبنيه كنصب يشهد على حماقة وكالة

المخابرات الأمريكية، فاستخدم الأموال الأمريكية لبناء البرج الفخم المزركش، وبني المطعم الدوار في قمته والذي يطل على منظر القاهرة كلها.

يتم جلاء الإنجليز عن مصر يوم الاثنين 18 يونيو 1956م (بعدما وافقوا على الاتفاقية لخروجهم من مصر) وأصبح هذا اليوم عيدًا قوميًا (عيد الجلاء) يحتفل به البلاد كل عام.

***

في يوم الأربعاء 18 يوليو 1956م يعلن المستر دلاس أنه قد سحب عرض القرض الأمريكي لبناء السد العالي، وفجأة في يوم الخميس 26 يوليو 1956م يعلن الرئيس جمال عبد الناصر في خطاب طويل وهو يضحك ويقهقه من تصرف المستر دلاس أنه أمم شركة قناة السويس وتقوم الدنيا ويصبح العالم مرة أخرى ولا حديث له إلا عن الرئيس جمال عبد الناصر وتأميم القناة ومرة أخرى يطيش صواب الغرب فيعقد الاجتماعات ويطير دلاس إلى أوروبا وتتكون جمعيات بأسماء مختلفة أخرها المنتفعين بالقناة، ومن غريب الأمور أن يتسبب الرئيس جمال عبد الناصر في حرمان مصر من موارد قناة السويس لمدة وصلت 11 عام، وهي المدة التي كانت باقية لتستولي بعدها مصر على كل أسهم الشركة دون أن تدفع أي مقابل، بل وكانت تستولي على ممتلكات الشركة في الخارج، وهي ممتلكات ضخمة، وكان من

حق مصر أن تؤول إليها عندما تمتلك أسهم الشركة، وقد فاته أن يطالب بملكيتها عندما دفع للأجانب أسهمهم بالدولار.

وعقب ذلك اجتمعت الدولتان (إنجلترا ـ فرنسا) على ضرب عبد الناصر، وارتكبا الخطيئة الكبرى، حين اشتركت إسرائيل معهما في الحملة الغادرة على مصر، وبعد ذلك اعتقل اللواء محمد نجيب رئيس الجمهورية السابق حيث نقل من المنزل الذي حددت فيه إقامته بالمرج إلى (طما) بمديرية سوهاج (في الصعيد) حيث أقام في منزل محام وهو زوج شقيقة الضابط أحمد أنور قائد البوليس الحربي وعديل الضابط حسين عرفة، وبقى في إحدى الغرف 59 يومًا كاملة وكان يشاركه في النوم ضابط وصول وجاويش، حتى حريته في النوم فقدها، وعلم من الضابط حسين عرفة أن إقامته سرية حتى على وزارة الداخلية.

وبعد شهور قليلة عرف العالم يوم السبت 27 أكتوبر 1956م أن القوات الإسرائيلية قد بدأت زحفها على سيناء، ثم تبع ذلك يوم الثلاثاء 30 أكتوبر 1956م الإنذار الإنجليزي الفرنسي، ثم اعتداء الدولتين على مصر، فلقد كان الهجوم الثلاثي على مصر أبشع عمل بل أكبر خطأ ارتكبته كل من إنجلترا وفرنسا، وذهب الثوار فاروق وشريف ومدحت مع المقاومة الشعبية للدفاع عن مدينة بور سعيد الباسلة، أثناء ذلك ينشط هؤلاء الطغاة الأقزام أثناء الأزمات، عم نادية وأعوانه، وفتحت نادية قصرها للمهاجرين القادمين من بور

سعيد، وينصرف هؤلاء الطغاة إلى تخريب الأرض منتهزين غياب زوجها.

***

وغضب العالم العربي أجمع، وكانت نهاية الحياة السياسية لإيدن في إنجلترا ونهاية جي موليه في فرنسا، وإن كان (ابن جوريون) رئيس وزراء إسرائيل قد اقتحم اللعبة بتردد مفتعل في التوسع، فلم تجل عن سيناء، إلا بعد أن هدد الرئيس الأمريكي أيزنهاور بتوقيع عقوبات اقتصادية ضدها، وأن أنكر عبد الناصر تلك المنّة الأمريكية وأخذ يشيد بما دعاه (الإنذار الروسي) الذي عجل برحيل إسرائيل عن الأراضي المصرية، مما كان له أثره فيما بعد على موقف الولايات المتحدة.

وبالرغم من قرار الرئيس أيزنهاور والذي وافقت عليه الجمعية العامة للأمم المتحدة، والذي ينص (أن تنسحب إسرائيل دون قيد أو شرط ولا يسمح لها بأن تحقق أي مكاسب من هجومها على مصر) إلا أن إسرائيل قامت في انسحابها (كما جاء في تقرير الجنرال بيرنز قائد قوات الطوارئ الدولية، وفقًا لخطة مرسومة بتدمير الطرق والسكك الحديدية وخطوط التليفونات، وكل ما كان من مبان على طول الخط الحديدي) مما أدى إلى احتجاج همرشولد أمين عام الأمم المتحدة، على ما تقترفه إسرائيل من تخريب.

وأجبرت الدول المعتدية على الجلاء، إلا أن إسرائيل لم تظفر من حملتها بغير فتح مضيق تيران للملاحة الإسرائيلية وهو ما خفي على الشعب المصري، وتنسحب القوات الغازية يوم الأحد 23 ديسمبر 1956م وأصبح هذا اليوم عـيد قومي لمديـنة (بور سعيد) عقب ذلك أُجبر اليهود المقيمون بمصر على الخروج منها (ما يقرب من خمسة وستين ألفا) وتم ترحيلهم إلى إسرائيل.

ويعود اللواء محمد نجيب الرئيس السابق من الاعتقال إلى المنزل الذي كان به في المرج ومعه الحراسة، وعادت الحياة مرة أخري لأسرته وأولاده، ولكن الطعنة الوحيدة التي مازالت تدمي نفسه، هي مصرع ابنه (علي) في حادث غامض بألمانيا الاتحادية، والوفاة قدر لا اعتراض عليه، ولكن أن يحرم الإنسان من استقبال جثمان ابنه في المطار، وأن يحرم من الإعلان عن وفاته أو تشييع جثمانه في جنازة، وأن يمنع لقاؤه على باب المدفن وهو يوارى التراب، فهو أمر صعب.

***

وعجت الساحة بالأحداث، فتقدمت أمريكا بمشروع أيزنهاور، لملء ما دعوه بالفراغ ولتقديم المعونة الاقتصادية والعسكرية للدول التي تهددها الشيوعية، ولم يلقى مشروع أيزنهاور تأييدًا أو نجاحًا من جانب الدول العربية التي اختارت الحياد في الصراع بين الكتلتين وعلى رأسها مصر، وعدت المشروع أداة جديدة للحرب الباردة بين الكتلتين

لا شأن لهم بها، إلا أن عملت السياسة الأمريكية على عزل عبدالناصر والحد من قوته، وكانت الأرصدة المصرية في أمريكا وإنجلترا وفرنسا مازالت مجمدة، واشتدت الحاجة أليها، بعد نقص الموارد الضرورية من القمح والبترول والأدوية، ورفضت الحكومة الأمريكية طلب مصر بإمدادها بما تحتاجه أو الإفراج عن أرصدتها من الدولار، ورفضت أمريكا كلا الطلبين، وقدمت روسيا بما تحتاجه مصر دون قيد أو شرط، وبرهنت أنها الصديق الذي يعتمد عليه.

***

obeikandl.com

(54)

بدأت الزيارات لكبار رجال سوريا تتوالى على القاهرة، وأصبحت المزايدات بين السوريين ترتفع في تقديم سوريا إلى الرئيس جمال عبد الناصر وانتهت المباحثات إلى اتفاق سريع يقضي بضم سوريا ضمًا كاملاً إلى مصر، في يوم السبت 22 فبراير 1958م اندمجت الدولتان في دولة واحدة أطلق عليها اسم (الجمهورية العربية المتحدة) ولقيت الوحدة بين مصر وسوريا أكبر النجاح في سوريا ذلك لأن الشعب السوري هو أكثر الشعوب العربية إيمانًا وتحمسًا لها.

***

وبدأ الرئيس جمال عبد الناصر يعد نفسه لزعامة الأمة العربية، ويرغم الدول العربية كي ينضموا إلى الوحدة العربية، ولكنه لم يعرف مفهوم الزعامة، فمن الزعامات الشعبية، زعامة غاندي في الهند وسعد زغلول باشا في مصر، فلقد استطاع كل منهما أن يحرك المجموع إلى ما يؤمن به، فقد نجح غاندي في أن يؤلف بين طوائف الهند العديدة، وأن يقرب بين الهندوس والمسلمين، وأن يحيى تراث الهند وحضارتها القديمة في صورة عصرية جديدة فنراه يقول:

ـ لا أحب لبيتي أن تحجبه الحوائط العالية . . ولا لنوافذه أن تغلق دون الهواء النقي . . وكم أحب أن تهب ريح الثقافات جميعًا على داري طليقة لا تعوقها سدود . . لأنني لا أحب منها أن تنزع قدماي من داري . . ولا أرضي أن أعيش في دور الآخرين طفيليًا أو متسولاً أو مستعبدًا .

وكان غاندي معبود جماهير الهند فصاغ للهند شخصيتها المعاصرة، كما كان إبراهام لتكولن في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية، وسعد زغلول باشا في مصر، وأن رأي غاندي في سعد زغلـول باشا ملهما له في زعامته للهند، من قبل ثورة مصر عام 1919م على الإنجليز .

وكان سعد زغلول باشا مثلاً أخر للزعامة شدت المجموع إليها، فأمنوا بصاحبها أيمانًا حمله على التسليم بما يرى، فحين وصم الدستور بأنه من وضع جماعة الأشقياء، كان أول مدافع عن الدستور حين سريانه وتطبيقه، وحين وصف تصريح 28 فبراير بأنه (نكبة وطنية) قبل أن يفاوض الإنجليز على أساسه، ولم يرى الناس في ذلك أي تناقض، مادام الأيمان بإخلاصه يحكم سلوكهم نحوه (فالإخلاص ـ كما يقولون ـ محصور في سعد وفي الوفد) وحين يصل الأيمان بالزعامة إلى هذا المستوى من اليقين يلتف الناس حولها لا يبغون عنها بديلاً، ولا يصدقون فيها قولاً، فالناس بإحساسهم يدركون مدى إخلاص

الزعيم فيما يقول أو يعمل، كما يدركون غائبته الذاتية مهما لفها ببريق الإقناع والتلفيق.

وقد احتلت الزعامات العسكرية الساحة العربية، وتشيعت لها المجاميع في البداية، ثم انصرفت عنها، وبقيت تحكم بالحديد والنار، وتقمع الإرادة العامة، حتى يطاح بها، أو تلم بها كارثة لم تكن في الحسبان، ولم يكن لأي منهم اثر يذكر على صفحة التاريخ غير النكبة والبوار، ولم يكن هناك من يغفر لهم خطاياهم، فقد كان الصدق ينقصهم، والصادق إذا خانه التوفيق غفر له شعبه.

وحاول الرئيس جمال عبد الناصر في هذه الأثناء إرغام الملك حسين (ملك الأردن) على الانضمام إلى جمهوريته التي كان اليمن قد انضم إليها في صورة اتحاد فيدرالي، ولم يقبل الملك حسين ذلك، فحاول أن يسقطه عن عرشه وأن يقيم ثورة في الأردن عن طريق عملائه، وعن طريق الدعاية، وعن طريق اتهامه بأنه عميل لدي الغرب ومهادن لإسرائيل، لكن كل جهوده قد باءت بالفشل في الأردن، وظل الملك حسين متربعا على عرشه.

***

ولم تمضي بضعة أسابيع على قيام هذه الوحدة حتى بدأ الرئيس جمال عبد الناصر ضربته، فأنتهز أول فرصة فعزل عفيف البزري عن قيادة الجيش، لأنه قد صدرت إليه أوامر بتنفيذ قرارات معينة فرأي أن

صدور الأوامر على هذا النحو يمثل اعتداءاً على سلطاته، وحاول أن يتفاهم مع صبري العسلي وبعض المسئولين في سوريا، وأخبروه بأن الأوامر قد أصدرها الرئيس جمال عبد الناصر، فسافر إلى القاهرة وطلب مقابلة الرئيس عبد الناصر، وأستقبله، وشكي عفيف البزري من الأوامر التي صدرت إليه، وقاطعه الرئيس غاضبًا:

ـ كيف حضرت إلى القاهرة؟ . . هل استأذنت في مغادرة مقر قيادتك في دمشق؟ . . هل طلبت من القائد العام للجيش المصري والسوري المشير عبد الحكيم عامر السماح لك بمغادرة مقر قيادتك والحضور إلى مصر؟

ولم يدر بخلد عفيف البزري أن يستأذن من المشير عبد الحكيم عامر في القدوم إلى القاهرة، وأنتهز الرئيس عبد الناصر الفرصة وشن حملة عنيفة على تصرف قائد الجيش السوري في القدوم إلى القاهرة وترك مركز قيادته في دمشق دون الإذن من رئيسه القائد العام للجيش الموحد، وشعر البزري بالحرج وقدم استقالته من منصبه، وظل عفيف البزري حبيس الفندق بضعة أيام تم في أثنائها فصل الكثيرين من الضباط أعوانه في الجيش السوري، وبعد ذلك صدرت الأوامر له بالعودة إلى دمشق.

***

لم يحقق الرئيس جمال عبد الناصر للشعب السوري الآمال التي

عقدها على الوحدة، بل زاد التنازع على النفوذ، وصاحب الوحدة عوامل كثيرة أدت إلى الكساد المالي، وبدت بوادر أزمة مالية، وزاد نفوذ الضابط عبد الحميد السراج زيادة خطيرة، كما سيطر حزب البعث على جميع أجهزة الإدارة الحكومية، وأضطر الرئيس عبد الناصر إلى إرسال ضباط مصريين ليسطروا على كافة أجهزة وأسلحة الجيش السوري، وحدثت احتكاكات بين الضباط المصريين والضباط السوريين نتيجة عجرفة المصريين، كما أرسل ضباطًا من المخابرات ليقيموا شبكة واسعة من الجاسوسية في كافة أرجاء الإقليم السوري، وضباطًا من البوليس المصري ليسيطروا على الأمن هناك، ونتج عن الوحدة أن أقفلت العراق التي يحكمها في ذلك الوقت نوري السعيد باشا حدودها في وجه التجارة السورية، وكذلك أقفلت تركيا الحدود في وجهها، وأدت كل هذه الإجراءات مع الشائعات بأن العملة ستوحد بين البلدين، لأن العملة المصرية منهارة والسورية لها مركزها في الأسواق الدولية، أدت كل هذه الأمور إلى خيبة أمل عنيفة لدي السوريين.

***

obeikandl.com

(55)

تمر الأيام وتقف نادية وزوجها أمام عمها وأعوانه، تكبر ابنتهما وتلتحق بالمدارس الثانوية، يباشر زوجها الفلاحين مع ناظر الزراعة كي تجلب الأرض خيراً، بدأ نجم شريف يزدهر بين الفلاحين ويجبروه على ترشيح نفسه لمجلس الأمة عنهم، إلا أنه يفاجأ بعدو جديد بدأ يتخلق .

ويسد الطريق، هذا العدو هو الطبقة الجديدة من أدعياء السياسة، و المد الاشتراكي، ومراكز القوى، ويعلن الحرب على هذه البؤر الجرثومية فيدخل في متاهات الطرق، إذ يجد الواقع نقيضًا للشعارات، يدبر عم نادية جريمة قتل صادق عوني صراف الجمعية الزراعية بالنجع، ويتهم شريف السحرتي ويزج به في السجن، ويترك زوجته تتصارع مع عمها، ويدافع عنه زميل الكفاح فاروق المواردي المحامي وينفى جريمة القتل، لكن مراكز القوى تبعده عن هذا الطريق، ويهدده أحدهم متوعداً .

***

obeikandl.com

(36)

وضح اضطراب سياسة الرئيس عبد الناصر في سوريا وضوحًا خطيرًا، وتأكد السوريين أن الوحدة لم تحقق للقضية العامة (قضية فلسطين) أية خدمات، وأن كل جهوده في سوريا تنصرف إلى تدعيم سيطرته على الشعب السوري عن طريق البطش والإرهاب، وأنه لا يريد من سوريا إلا أن تكون قاعدة أمامية يستطيع منها إثارة المتاعب في باقي الدول العربية المحيطة بها أملا في إخضاع هذه الدول لسيطرته.

في الساعات الأولى من يوم الخميس 28 سبتمبر 1961م خرج ستة من ضباط الجيش السوري على رأس قوة لا تزيد عن ثلاثمائة جندي وسرعان ما تمكنت هذه القوة الصغيرة من الاستيلاء على العاصمة السورية وعلى وضع اليد على المشير عبد الحكيم عامر، وعزل القوة المصرية المعسكرة في دمشق، ومن صباح ذلك اليوم كان راديو دمشق يعلن أول بلاغ للثوار السوريين.

وطلب الرئيس عبد الناصر من الجيش السوري أن يقمع الثوار،

وطلب من الشعب السوري أن يثور على الثوار، ولكن الجيش الأول أخذت وحداته الواحدة تلو الأخرى تعلن في فرح عن التأييد لحركة الثوار، حتى الضباط الثوار في القوات المصرية الموجودة في أرجاء سوريا رفضت تنفيذ أوامره، ورفضوا العودة إلى مصر، أما الشعب السوري فقد بادر بتأييد الثوار بكل صور الفرح والانشراح والبهجة.

وسرعان ما قامت الجمهورية العربية السورية بأعبائها، وسرعان ما سلم الجيش مقاليد الأمور لحكومة مدنية يرأسها الدكتور مأمون الكزبري، وسرعان ما اعترف الملك حسين (ملك الأردن) بالجمهورية الجديدة، وتبع ذلك في خلال عشرة أيام اعتراف باقي دول العالم، كما عادت سوريا لاحتلال مقعدها في هيئة الأمم المتحدة، كما عادت إلى مكانها في جامعة الدول العربية، وبهذا تم انفصال سوريا عن مصر.

***

ولعل إحساس عبد الناصر بفشل الوحدة، هو الذي حمله على مغامرة اليمن، فإذا كانت ثورة اليمن، أو الانقلاب الذي كان من اليسير أن يفشل كما فشلت المحاولات التي سبقته، دليلا عن الفجوة القائمة بين الأنظمة الحاكمة، والشعوب التي تحكمها، وأن داعية القومية العربية أخذ جانب الشعوب ضد حكامها، فإن التأييد العسكري الذي بذلته مصر لحركة عبد الله السلال لم يجد في استقرار

الأمر له، ولعل العامل الذي سيطر على عبد الناصر دون غيره من العوامل الإستراتيجية والتكتيكية لحملة عسكرية تقطع هذه المسافة البعيدة إلى بلد أغلب الظن أن قادتها لا يعرفون شيئًا عن طبوغرافيتها، ولا عن أهواء ساكنيها، وامتدت عمليات القوات المصرية في اليمن سنوات طوالا، وكانت كارثة محققة، خسر فيها الاقتصاد المصري كثيراً، فقد كانت مصاريف قواتنا في اليوم الواحد في اليمن حوالي مليون جنية، وتقدر خسائرنا في الحرب أكثر من 10 مليارات جنيه إسترليني، فضلاً عن غطاء الذهب الذي كان موجوداً في البنك المركزي، وتم تبديد معظمه خلال هذه الحرب، وقد تم توزيع أطنان منه على القبائل اليمنية لاستمالتها إلى جانبنا، وكم من حوادث غدر وخديعة وقعت منهم بعد أن حصلوا على الذهب، هذا بخلاف أن القيادة كانت تنثر الريالات الذهبية التي تحمل صورة ماریاتریزا ـ إمبراطورة النمسا ـ من الطائرات، فقد سحب بعد ذلك كل رصيد الذهب من البنك المركزي وتبدد بهذا كل غطاء العملة المصرية من البنك المركزي ولم يبق شيء منه، ولم تكن هذه الكميات تلقى تمامًا على القوات الملكية، وإنما جزء منها يبقى نهبه من هذا الذهب لصالح الحواريين وأصحاب النفوذ والسلطة وكبار الضباط، وعندما ناقش أحد كبار الضباط المشير عبد الحكيم عامر في الموقف المتدهور في اليمن قائلا:

ـ أن القوات المصرية في اليمن تتكلف مليون جنية كل مطلع شمس.

وهز المشير عبد الحكيم عامر رأسه في غضب و ضيق شديد وقال :

ـ اليمن ليست (بلاعة) . . اليمن (خرارة) .

ولن نستطيع حصر الخسائر المعنوية والنفسية والمادية التي خسرها الشعب المصري في حرب اليمن الملعونة، بسبب فقد ما يقرب من مائة ألف شهيد من أفضل شبابنًا، وترمل وتيتم ما يقرب من مائة ألف أسرة، وصرف ما يقرب من مائة ألف معاش لهم، وتعويضات مهما كانت ضخامتها، لم تكن لتعويضهم عن فقد رجالهم وشبابهم الذين ألقوا بهم في أتون الحرب المشتعلة، بل ليكون وقوداً لطموحات الزعيم في إحياء مجده الوهمي، ألم يدرك أن وراء كل ضابط أو جندي يتم قتله أو تشويهه في اليمن أم تبكي وأب يتحطم وزوجة تترمل وأطفال يتامى، هل يمكن للإنسان أن يقتل ضميره قتلاً كاملاً فلا يتأثر بقتل الآلاف بسبب حرب لا يمكن أن تعود على مصر بأي فائدة، ويتسبب في قتل أبنائهم وأزواجهن في اليمن .

***

ولد مشروع الاتحاد الثلاثي عام 1963م بين مصر والعراق وسوريا ميتا قبل أن يخرج إلى الحياة، لاختلاف النوازع بين أقطاب البلدان الثلاثة وأطماعهم .

***

(37)

أنقذ حسن العشماوي صديقه البكباشي جمال عبد الناصر من القبض عليه بتهمة إحراز مفرقعات وأسلحة أثناء حريق القاهرة، والذي عرض أطفاله الصغار وزوجته ونفسه إذ سافر الجميع متخفين في ملابس أهل الريف لينقل الأسلحة إلى عزبة والده الباشا في الشرقية، حيث أرسل عبد الناصر مهندسين من ضباط الجيش لحفر بئر تدفن فيه الأسلحة والذخائر، فكان جزاؤه أن أرسل عبد الناصر بعد أن تولي زمام الأمور قوات إلى حيث توجد الأسلحة، وأعلنت أجهزته أنهم عثروا في عزبة حسن العشماوي المحامي على أسلحة وذخائر تكفي لنسف مدينة القاهرة، وانتصر حسن مرتين (الانتصار الأول) أثناء جلوسه في قطار الصعيد وهو يقلب في صفحات الجرائد التي في يده فوجد صورته ومكتوب تحتها الهارب حسن العشماوي الذي صدر ضده حكم غيابي بالسجن لمدة عشر سنين ومطلوب القبض عليه، وأدرك في حينه الخطر الذي هو معرض له، فقرر أن ينتصر على الرئيس جمال عبد الناصر وكل أجهزته، وأن يستعين بالله ليمكنه من تحقيق ذلك الانتصار.

نزل في أول محطة وذهب إلى محل بيع ملابس الفلاحين وأشترى جلبابين وملابس داخلية، وتوجه إلى دورة مياه المحطة وخلع ملابسه وارتدى بعض ما اشتراه من ملابس، وخرج وفي يده لفتان، الأولى بها ملابسه السابقة والثانية بها بقية ما اشترى، وسار في الشوارع وكلما وجد مكانًا خاليًا من المارة ألقى بجزء من ملابسه الأولى إلى جوار الحائط، واستمر هكذا حتى تخلص من لفة الملابس الأولى، وأتجه إلى المحطة وقطع تذكرة سفر درجة ثالثة لإحدى مدن الصعيد القريبة من إدفو (كان يلبس الطاقية وجلبابه الذي حرص على أن يكون مظهره ليس مكويًا ولا جديدًا) ونزل من القطار يحمل لفة الملابس الباقية وسار إلى أحد القرى حيث يوجد الشيخ أحمد الذي ترافع عن أولاده محامي من الثوار ومن زملاء حسن، وكان هذا الزميل قد روى لحسن الكثير عن الشيخ أحمد وشهامته.

وقبل الشيخ أحمد لجوء حسن لديه، ولكنه في يوم من الأيام خشي أحد أولاده، فنصح حسن بأن يذهب إلى الجبل ويختفي فيه وتعهد بإرسال الماء والطعام له بصفة مستمرة مع أحد أبنائه الذي يثق فيه كل الثقة، وعاش حسن في الجبل حيث لا يرى أحدًا، وأستمر الشيخ أحمد يرسل الماء والأكل، وبعد بضعة أيام كان يقرأ ورقة من جريدة الأهرام التي كان الأكل ملفوفًا فيها وكانت حديثة التاريخ، فوجد أن صديقًا حميمًا لوالده العشماوي باشا وهو أي الصديق من الشخصيات السعودية الثرية قد وصل إلى القاهرة ونزل في أحد فنادقها لقضاء

أسبوعين، وجد حسن أن صديق والده لا يزال أمامه أسبوعًا يمضيه في القاهرة، وعاد مسرعًا إلى القرية وشكر الشيخ أحمد كرم ضيافته وأخبره أنه سيسافر إلى أسوان، وبدل أن يسافر إلى أسوان وصل إلى القاهرة.

واتصل بصديق من الثوار يعتز كل الاعتزاز بصداقته تليفونيًا، وعرف الصديق صوته واتفقا على أن يتقابلا، وطلب حسن من الصديق أن يذهب للشخصية السعودية يسأله هل يستطيع اصطحاب حسن معه عند خروجه، ورحب الرجل فوراً، وطلب من الصديق أن يحضر له صوراً لحسن وهو يلبس جلبابًا أبيض وعقالاً، وأحضر الصديق الصور للرجل السعودي، وفي اليوم المحدد للسفر كان حسن العشماوي يسير مع آخرين من أتباع الرجل السعودي الذي قدم جوازات السفر السعودية لبوليس الجوازات قبل الصعود إلى المركب التي ستسافر إلى جدة، ومن بين هذه الجوازات جواز سفر سعودي يحمل اسم حسن الإمام وصورة حسن العشماوي بالملابس السعودية، وعلى ظهر المركب فوجئ حسن بضابط جيش مصري ينظر إليه، فلما التقى البصر بينهما لمدة قاربت الدقيقة ابتسم الضابط وأدار ظهره، لأن الضابط المصري من الثوار وكان يعرف حسن العشماوي ولم ينخدع في ملابسه، ولكنه عز عليه أن يحرمه نعمة الحرية والفرار من الطغيان، هكذا أنتصر حسن العشماوي على الرئيس جمال عبد الناصر وأجهزته.

***

obeikandl.com

(38)

ومضى على خروج الملك السابق فاروق من مصر إلى إيطاليا ثلاثة عشرة عامًا، وكان يوم السبت 17 مارس 1965م آخر أيام حياته حيث قرر التوجه إلى مطعم (ايل ديفرانس) بروما ليتناول عشاء مع صديقة له، هي (اناماریاجاتی) وقبل انتصاف الليل بساعة أكل فاروق الملك السابق دستة من المحار وجراد البحر، وشريحتين من لحم الحمل، مع بطاطس مُحمرة وبقول فرنسية، ورفض أكل الفطائر المحلاة، لأنهم كانوا قد وضعوا خموراً بها، لأنه يكره الخمر ولم يتذوقها في حياته، واكل كمية من الكعك المحشو بالمربى والفواكه، وجلس الملك السابق بعد هذه الوجبة الدسمة مستلقيًا على أحد المقاعد الوثيرة في المطعم، وقد أشعل سيجاراً بدأ ينفث دخانه بهدوء، عندما سمع نزلاء المطعم صوتًا وصيحة، من قاعة (سانت تروبيز) تطلب النجدة، وهناك شاهدوا النزلاء ومعهم إبراهيم بغدادي من ضباط حركة الجيش الصف الثاني (الذي عمل جرسونا بهذا المطعم الذي كان يتردد عليه الملك فاروق لمدة سنتين) الملك السابق ملقى في أحد أركان القاعة، وقد احمر وجهه، ويداه مرفوعتان إلى حلقه، ووصلت سيارة إسعاف المطعم خلال دقائق، وحاول الدكتور

(نيقولاماسا) إنعاش قلبه إلا أن القلب لم يستجب، ونقل في سيارة الإسعاف إلى المستشفى، لكنه فقد الوعي تمامًا، واخذ نبضه يتذبذب بصورة مستمرة، وفي الساعة الواحدة والنصف صباح يوم الأحد 18 مارس 1965م توقف النبض نهائيًا، لقد مات فاروق الملك السابق وهو في الخامسة والأربعين من عمره.

وقد أثار موته تردد الإشاعات في الخارج وفي داخل مصر، إن نظام الحكم الجديد قد نجح في أن يقتله بالسم، ولم يجرى وقتها أي تشريح للجثة لتكذيب هذه الإشاعات التي ترددت في أنحاء العالم، وقد أثارت وفاته مشكلة، أين يتم دفنه (لقد عبر فاروق الملك السابق كثيرًا عن رغبته في أن يدفن بجوار والده وبجوار معظم أسلافه الآخرين في جامع الرفاعي) وفي يوم الثلاثاء 20 مارس 1965م نقل جثمانه من دار حفظ الموتى بروما إلى كنيسة صغيرة، حيث أقيمت شعائر إسلامية بسيطة وشيعت الجنازة بحضور بناته الثلاث وابنه (أحمد فؤاد) وملكته السابقة (فريدة) وملكته السابقة (ناريمان) واثنين من شقيقاته، وإبراهيم بغدادي الذي أشرنا إليه، ونقل الجثمان بعدها إلى جبانة المدينة في روما، وقد كلل مساعي صهره (إسماعيل شيرين) وزير حربية مصر الأسبق لدى السلطات المصرية، وقد استمرت عشرة أيام وافق بعدها (جمال عبد الناصر) على أن يتم إحضار جثمان الملك السابق إلى القاهرة بصورة سرية، وفي يوم الثلاثاء 27 مارس 1965م نقلت طائرة كوميت تابعه لشركة الطيران العربية المتحدة جثمان الملك السابق فاروق إلى القاهرة، التي وصلتها في منتصف

الليل، ومن مطار القاهرة تم نقل الجثمان إلى قبر (إبراهيم بن محمد علي) حيث تم دفنه في الساعة الثانية بعد منتصف تلك الليلة، وفي تلك اللحظة، لم يسمع هناك إلا صوت بكاء شقيقتيه (فوزية) و(فايقة) اللتين حضرتا مع زوجيهما، وصوت الشيخ (سيد) المقرئ المحلى الذي كان يتلو بعض الآيات القرآنية، واستغرقت عملية الدفن عشر دقائق، ورحل الجميع بعدها.

***

يتقابل شريف السحرتي مع عباس البحيري في زنزانة واحدة في سجن طرة، وأنهما كانا يعملان في مصلحة واحدة أثناء الاحتلال الإنجليزي، والآن هما معًا، الثوري الذي أحب مصر، والخائن الذي أرشد عن الوطنيين لأسياده الإنجليز، الآن يتساويان.

بعد فترة يخرج عباس ويتعامل مع أسياده من مراكز القوى، ويلمع نجمه مرة ثانية في عالم الخيانة، أول عمل قام به هو قضية قلب نظام الحكم في مصر عام 1965م وألقى القبض على مدحت شوكت وبعض الثوار في قضية قتل أمين عثمان باشا ومنهم حسين توفيق وعبد العزيز خميس وآخرين ووضعوا في المعتقلات دون محاكمة ويعذبون دون أي سبب، ويتوفى مدحت من كثرة التعذيب ومعه آخرون وتدفن جثثهم في صحراء العباسية ، ولا يعلم أحد من أهاليهم بذلك.

***

obeikandl.com

(39)

انتقل حسن العشماوي للإقامة في جنيف مستعملاً جواز السفر السعودي الذي يحمل اسم حسن الإمام، وانتصر على الرئيس حمال عبد الناصر وأجهزته (الانتصار الثاني)، كان يقضي معظم الوقت مع صديقه أحمد أبو الفتح (رئيس تحرير جريدة المصري التي أغلقتها حركة الجيش واستولت على المبنى الذي يمتلكه وأجهزة الطباعة في شارع القصر العيني "دار الشعب حاليًا" كما استولت على مبنى الإعلانات المصرية الخاص به في شارع نجيب الريحاني "جريدة الجمهورية حاليًا") وفي يوم من الأيام فوجئ صديقه أن حسن يطلبه تليفونيا بعد منتصف الليل ويبلغه أن زوجته موجودة معه في سويسرا ومتألمة ألما شديدا من تقلصات في المعدة وأنه يريد أن ينقلها إلى المستشفى، وفي المستشفى تبين أن المصران الأعور يجب إزالته فوراً، وعلم صديقه أحمد أبو الفتح أن ابن وبنات حسن موجودون أيضًا في سويسرا، وسأله في دهشة :

ـ كيف خرجوا من مصر !!

فابتسم ابتسامته المحببة وقال ببساطة :

ـ سافرت إلى مصر وأحضرتهم .

ودهش لما حدث وقال :

ـ لو أن أي إنسان غيرك قال هذا لم أصدقه .

وضحك حسن لما سمعه من صديقه وقال :

ـ أخرجت جواز سفري السعودي وعليه ختم دخول مصر وختم الخروج منها . . هذا الأخير كان بتاريخ اليوم . . وكان لا بد أن أسعى إلى إخراج أسرتي . . ولم يكن من الممكن أن تخرج إلا بالهرب .

ـ وكيف حدث هذا؟

ـ بدأت أدرس ماذا أفعل . . تصادقت مع طباخ السفير رئيس البعثة المصرية لدي هيئة الأمم فرع جنيف . . وكنت كثيراً بعد أن أتركك يا أحمد أسهر معه وأدعوه لتناول بعض المرطبات في أحد المقاهي . . وقد توثقت الصلات بيننا حتى أصبحنا نتقابل كل ليلة في نفس المقهى ونسهر معا . . وفي أحد السهرات حدثته عن رغبتي في زيارة مصر التي يحكمها عبد الناصر الزعيم الكبير . . فشجعني على أن أقوم بالزيارة . . فلما أخبرته بأني في حاجة إلى تأشيرة دخول (فيزا) أبدي استعداداً حاراً بأن يحصل لي على الفيزا إذ أن علاقته بالقنصل ممتازة فهو يقوم بالطهي له عندما يقيم عزومة . . وفعلاً

حصلت على الفيزا ورفض القنصل تناول الرسوم . . وكتب عنها تأشيرة مجاملة . . ولبست الملابس السعودية وسافرت إلى مصر .

وسكت برهة ثم قال :

ـ وأطلقت لحيتي على طريقة السعوديين . . ونزلت في فندق متواضع . . وطلبت نفس صديقي الذي يعمل مع الثوار بالتليفون من خارج الفندق . . وتقابلنا وكنت قد قطعت تذكرتين لحفلة في إحدى دور السينما وطلبت منه أن يعطي تذكرة لزوجتي ويطلب منها الحضور إلى السينما . . وفي السينما كنا في ركن منعزل . . وأثناء العرض شرحت لها ما يجب أن تقوم به . . تلبس ملابس طويلة وتتحجب ويلبس محمد أبني وأخواته أماني وفاطمة وأمال ملابس رخيصة . . ويتم التنبيه على الأولاد ألا يتكلموا أبدا حتى لا يفتضح الأمر بكلامهم المصري . . وحددت اليوم والساعة والمكان الذي نتقابل فيه في سيدنا الحسين لنذهب إلى المطار . . وأنت تعلم يا أحمد بأن الجوازات السعودية لم تكن تسمح بوضع صور السيدات والأطفال . . وكنت قد أضفت كل الأسماء للجواز . . وحضرت زوجتي وقد نفذت كل التعليمات بدقة . . وكان صعبًا على الأولاد ألا يبدو فرحتهم بلقائي . . وذهبنا إلى المطار وسارت الأمور دون أي مشاكل . . وركبنا الطائرة وها نحن في جنيف والحاجة قدرية عملت العملية والحمد لله . . ومن المؤكد

أن الكبت العصبي الذي عاشته منذ فوجئت بالجلوس إلى جواري في السينما إلى أن ابتعدت بنا الطائرة عن أجواء مصر . . هو الذي أثر في تحريك إلتهاب المصران الأعور . . والعملية انتهت و الحمد لله ويد الله فوق أيديهم .

***

obeikandl.com

(40)

يعذب شريف السحرتي كثيرا في سجن طرة، ثم ينقل مع رجال اعتقلوا ظلمًا لأنهم من الثوار إلى السجن الحربي تحت قيادة اللواء حمزة البسيوني الذي يأخذ أوامره من الوزير شمس بدران (من ضباط حركة الجيش الصف الثاني) وبعدما عذبوا أقام شريف والمعتقلين الصلاة، وأثناء ذلك فوجئوا بالضباط العظام عبد العال سلومة، عبد الله ماهر وعبد اللطيف رشدي بأوامر من السيد المغوار اللواء حمزة البسيوني الرجل الذي لو وزعت قسوة قلبه على أهل الأرض ما بقي للرحمة سبيل إلى قلب واحد منهم، أغلقت الزنازين وضربوا بالرصاص من ألف جندي وهم داخل الزنازين، فمنهم من قضي نحبه، ومنهم من ذهب عقله مثل شريف وغيره، ومنهم من مات متأثرًا بجراحه، والذين نزفوا ظلوا ينزفون والجنود ينظرون لهم في أسى، ولم يستطيعوا أن يفعلوا لهم شيئًا لأنهم مأمورون، وخرجوا دون إسعافهم حتى ماتوا.

***

تحصل كريمة على إتمام الدراسة الثانوية، تسافر مع والدتها إلى

القاهرة وتقدم أوراقها لمكتب التنسيق، وتقبل في كلية الطب، وتقوم أيضًا بإلحاقها بالمدينة الجامعية، وترجع نادية بعد أن اطمأنت على ابنتها إلى العزبة، ويشير عليها ناظر الزراعة بتعيين مهندس زراعي لأن مساحة الأرض كبيرة وتحتاج لرعاية، تعلن في الصحف اليومية عن طلب مهندس زراعي، ويتقدم أكثر من مهندس ولكنهم يفشلوا أمام سطوة عمها وأعوانه وبالأخص مؤامرات سبع الليل، أعلنت عن الوظيفة عدة مرات ولكنها لم تنجح، لأن عمها يقف لها بالمرصاد.

***

obeikandl.com

(41)

وعرف المصريون أخيراً بأن إسرائيل فتحت مضيق تيران للملاحة الإسرائيلية منذ العدوان الثلاثي، وهو ما خفي عليهم خلال السنوات التي مرت، ويتحرك الجيش المنهار في اليمن إلى سيناء، ويتم إغلاق خليج العقبة، وأقام الرئيس جمال عبد الناصر المؤتمر الصحفي وهدد إسرائيل، وحشد الجيش، وطرد قوات الطوارئ الدولية، وهو يعلم أن جيشه الذي لم يعد جزء كبير منه من اليمن، منهك وغير مستعد للدخول في الحرب، ويتجسم الفعل المأسوي وسرعان ما تحولت التهديدات إلى حرب، والحرب إلى الهزيمة التي حدثت يوم الاثنين 5 يونيو 1967م وانسحاب فوضوي مرير، ودفع الشعب المصري الثمن فادحًا من حاضره ومستقبله وأبشع كارثة يتعرض لها في تاريخه المعاصر، واحتلت إسرائيل أرض سيناء بمصر، وهضبة الجولان بسوريا.

ألم يشعر عبد الناصر بأنه أرتكب في حق مصر أبشع وأفظع الجرائم إذ سلم أرضها للعدو الصهيوني يحتلها ويقتل جنودها وضباطها، ويغنم أسلحتها وبترولها ويسد قناتها التي كان عمله

الأكبر هو تأميمها، مصر التي تسلمها دائنة والجنيه يساوي ثلاث دولارات ويزيد عن الجنيه الإسترليني بقرشين ونصف، ولها أرصدة من الذهب تحمي الجنيه من هبوط قيمته، ولها أرصدة في البنوك الدولية، وبها قصور وثروات، ماذا فعل بكل هذا، ولماذا تركها مدينة بدين زاد على 1.700 مليون دولاراً، كم يساوي هذا المبلغ الآن؟ لماذا لجأ للحلول المؤقتة ليرضي الناس بعد أن ركز الرزق في يده.

ألم يعلم أن تخفيض إيجار المساكن سيؤدي إلى وقف البناء، ألم يعلم أن إباحة التعليم الجامعي بالمجان سيؤدي إلى حرمان مصر من الصناع المهرة الذين كانوا ينافسون بإنتاجهم في الجلود والأثاث الإنتاج الأوروبي، ألم يكن يعلم أن المغالاة في تخفيض الملكية الزراعية سيؤدي إلى تدهور في الزراعة وفي الألبان واللحوم والطيور، أليس الملاك هم الذين يستعينون بالآلات الحديثة للزراعة وبتربية المواشي وهم الذين كانوا يصلحون الأراضي البور بما يملكون من مال وجهد، لماذا هذا الظلم وتلك القسوة، أنه شذوذ لا أجد له تفسيراً، من أبرز صفاته هي القدرة على التآمر ضد الثوار، ولكن لماذا التآمر على مصر.

***

(42)

وتصبح الصدمة الوطنية قاسية على نادية وما تمثله من نبل ونقاء، ومنعشة لعمها وسبع الليل، وما يمثلان من مراكز القوى التي تستشري وتدافع عن نفسها دفاعًا ضاريًا زكيًا، إذ أنهما يتسران بالثورية بينما يتاجران بالأرض وبالفلاحين، أثناء ذلك يحضر الدكتور ثروت عبد العزيز زوج السيدة إحسان من أوروبا ومعهما مجدي (الابن المتبنى) ابن نادية والشهيد فؤاد همام، وبحث الدكتور عن نادية لكنه لم يستطيع أن يستدل على مكانها ولا حتى أخبار عنها، ويظل سرها مخفيًا عن ابنها مجدي، لقد أصبح مهندس زراعي وبدأ يبحث عن المستقبل، عن دور يؤديه لمصر، وقرأ إعلانًا بإحدى الصحف اليومية عن طلب مهندس زراعي يدير عزبة أولاد حمزاوي القريبة من مديرية أسيوط، يقرر الذهاب إلى العزبة بعد موافقة والده ويفاجأ هناك بأن الأرض خراب، فعمها وأعوانه يجهضون كل الجهود المبذولة إما بالغيلة وإما بالحيلة، يفاجأ بان نادية صاحبة الأرض قد سئمت الكفاح، فقد أصبحت دائمًا وحيدة تجتر أحزانها على غياب زوجها، بينما عزلت ابنتها عن الحياة، كأحد أخطائها.

يحاول مجدي أن ينفخ في الرماد بحثًا عن جذوة نار خابية، ولكنه لا يجد سوى الغبار الذي يؤذي عينيه الواعدتين، وأحس عمها أن مجدي من نوع جديد يختلف عمن سبقوه من المهندسين الذين اشتركوا في إدارة أملاك ابنة أخيه، يختلف عنهم في استقامته وسلوكه وحبه للعمل، إنه لا يشاركه مجالسه التي يدور فيها الدخان الأزرق، وفشل في طيه تحت إبطه كما طوى غيره من قبل، وشعر أن أرض ابنة أخيه ستجلب الخير الكثير على يديه، كذلك ملأت الغيرة قلب سبع الليل، الإنسان الجشع لهذه أسباب أيضًا، ويصمد مجدي إمام الجبهتين، جبهة عمها وجبهة سبع الليل، وتلتمع لؤلؤة الشر في أعينهما، ويدبران جريمة قتل نادية كوسيلة للحصول على الأرض بطريق شبه قانوني، فهي لم تنجب ذكوراً يجبون الميراث، كما يدبر عمها زواج كريمة من شمروخ ابن سبع الليل مكافأة له على ولاؤه.

تتم الجريمة باتفاق مبالغ فيه بواسطة الظروف السيئة والأشرار المتحكمين مع مراكز القوى، تتجه الشبهة بالقصد إلى المهندس مجدي المتحمس والذي فشل عمها في إغواءه بكل حيله ودهاء، فعمل على توريطه بالاتهام في قتل ابنة أخيه الثرية، أثناء التحقيق يتدخل الدكتور ثروت (متبنى مجدي) وتنكشف الحقيقة الدامية، نادية التي اتهم مجدي بقتلها هي أمه الحقيقية، أمه الضائعة البعيدة، أمه التي لم تفرح به ولم يفرح بها، يتدخل القدر لإنقاذه، فالطب الشرعي يقرر أن المجني

عليها ماتت بالسكتة القلبية قبل الاعتداء عليها بأربع دقائق، وينشط عمها لمحاصرة مجدي بالشهود الزور بعد أن اكتشف أنه منافس جديد في ملكية الأرض؛ فهو ابن نادية، لكن القضاء العادل يبرؤه لعدم ثبوت الأدلة.

***

يخرج مجدي من المحنة، يتفحص ظروفه ويستنبطها، في السجن نما نمواً روحيًا هائلاً، هاهي أمه تفلت من يديه لحظة عثوره عليها، هاهو يتهم بقتل أمه الحقيقة، بينما هي قد ماتت موتا طبيعيا، هاهم الجناة الطغاة قتلوا أمه الحقيقية وهو لا يعرفهم، هاهو سليل ماضي مجيد رغيد، ولكنه ينسب إلى تاريخ أخر مدخول عليه، هاهو قد عاش شبابه محرومًا من وطنه بالفعل في أوروبا، وحين عاد إليه صار محرومًا منه بالعودة في ظل الظلم، هل يقدر أن يعيد سيرة أسلافه الأفذاذ (أبوه البطل ـ أمه المناضلة ـ شريف الأصيل) ويبحث عن أحد من أصدقاء والده ويجده بعد مشقة كبيرة والذي افلت من أيدي مراكز القوى إنه محمود سامي المحامي وحكي له عن بعض الثوار ومن بينهم والده الذي قتلوه الإنجليز، ويتحدث معه عن أخته كريمة، ويتصل بها ويحميها من جنون عم والدتهما، ويرفع قضيه ضده ليسترد حقهما في الأرض، ولــكنه يفشل لأن مراكز القوى وضعت الأرض تحت الحراسة، ويقف بجواره زميل والده في الكفاح، ولكن مراكز القوى

حقدت على تاريخه، كل ذلك بمعرفة عباس البحيري، وأدخل المعتقل دون أي سبب.

***

obeikandl.com

(43)

أصدر الرئيس جمال عبد الناصر قراراً بتعيين محمد أنور السادات نائبًا لرئاسة الجمهورية، وتبدأ حرب الاستنزاف في مارس 1969م بين مصر وإسرائيل، وتشارك القوات المسلحة بكل قواها وتلحق بالعدو عدة هزائم تحدث عنها العالم و أهمها إغراق المدمرة الإسرائيلية إيلات.

افتعل الرئيس جمال عبد الناصر وبعض رجاله من مراكز القوى مذبحة القضاة عام 1969م وكان موقف محمد أنور السادات كريمًا جليلاً عندما تدخل بقوة وحزم لمنعهم من هذه المذبحة إلا أنهم تكتلوا ضد مسعاه، ولم ينس الرئيس جمال عبد الناصر والضباط الحكم في قضية الأسلحة الفاسدة الذي أصدره المستشار سليمان بك ثابت الذي رأس محكمة الجنايات وحكم بالبراءة في هذه القضية، وأثناء هذه المذبحة تم قتله بعد أن بلغ من العمر أكثر من ستين عامًا عقابا له على ذلك، ويتم القبض على المستشار فاروق المواردي الذي عين بمحكمة النقض ومعه قضاة ومستشارون؛ لحقدهم على تاريخهم العظيم، وعرضوهم للتشرد والاعتقال، عذبوا كثيراً حتى استشهد البعض

منهم، ولعل هذه المذبحة هي أقبح وأبشع وأفضح ما قام به عبد الناصر وأعوانه من مراكز القوى، من إجراءات تناولت قتل كل ضمان للمصريين.

***

وعجزت جامعة الدول العربية عن إقامة كيان إقليمي واضح المرامي والأهداف وناشت الفرقة أقطابها، فراحوا ينشدون إقامة كيانات صغيرة بعيدا عن كيانهم الأكبر كان آخرها اتحاد الجمهوريات العربية بين مصر وليبيا والسودان في ديسمبر 1969م، وكأنه تحالف فريق من العرب ضد فريق آخر، وقد ولد ميتًا كغيره مما سبقه، وكانت أمثال هذه الاتحادات الجزئية تتم خارج الجامعة العربية، تحدوها نوازع فردية، أو تحكمها ظروف طارئة ليس لها بقاء.

***

يتدخل الحب لربط التاريخ، يلتقي عاطف (ابن فاروق المواردي) بكريمة (ابنة شريف السحرتي) والذي تم تعارفهما قبل القبض على والده في مذبحة القضاة، في عاطفة عظيمة، ويجتهدان في دراستهما في كلية الطب، أما مجدي كان حزينًا على الأرض بعدما وضعت تحت الحراسة ، ويقف الدكتور ثروت (متبنيه) بجواره ويخفف عنه ما حدث.

***

يتوفى الرئيس جمال عبد الناصر يوم الأحد 28 سبتمبر

1970م متأثراً بمرض انتابه فجأة، وتسلم محمد أنور السادات رئاسة الجمهورية خلفًا للرئيس الراحل، وقرر إطلاق حرية اللواء محمد نجيب الرئيس السابق للجمهورية، لكن العصابة التي كانت تكيد له (سامي شرف، وشعراوي جمعة، وعلي صبري) لم تنفذ أمر الرئيس، وبعد حوالي شهرين عرف الرئيس أنه مازال مقيد الحرية، فأصدر أمره برفع الحراسة فوراً عنه خلال ساعة واحدة، واتصل به المقدم نبيل من المباحث العامة ويهنئه بالإفراج النهائي، ولم تمض ساعة حتى حمل جند الحراسة أمتعتهم ومعداتهم ، وتحركت بهم اللوريات إلى ثكنات الجيش بعد رفقة دامت ثمانية عشر عامًا، وأثناء ذلك عرض عليه الرئيس محمد أنور السادات مسكنًا مناسبًا إلا أنه فضل أن يقيم بقية أيام عمره في هذا المنزل، فأسس له المنزل بأحسن الأثاث ، وعين له حرسًا بسيطًا من بوليس قسم المطرية لأن المنزل بعيداً عن العمران، ومنحه جواز سفر دبلوماسيًا، وأعاد مرتبه كاملاً، وظل الحال كما هو عليه، استمرار حرب الاستنزاف، تمرد بعض القادة السياسيين من مراكز القوى، وابتعاد البعض الآخر عنه كي لا يعرف يتصرف في مصير أمة بأكملها.

***

obeikandl.com

(44)

وقام الرئيس محمد أنور السادات بثورة التصحيح يوم السبت 15 مايو 1971م وتم القبض على مراكز القوى ومن بينهم الخائن لوطنه عباس البحيري الجاسوس لكل العصور، إلا أن الوزير شمس بدران هرب وسافر إلى دولة أوروبية بعد أن قتل العشرات من الثوار في السجن الحربي، وانعقدت المحاكم لمحاكمتهم لأسباب كثيرة، وتم إعادة التشكيل الإداري والنيابي وانتخاب القيادات الجديدة، والإفراج عن المعتقلين السياسيين الذين عذبتهم مراكز القوى والإقطاع الجديد، وكان من بينهم بعض الثوار المستشار فاروق المواردي، شريف السحرتي، عبد العزيز خميس وآخرون، وكم كانت فرحة الجميع بعد ظهور الحق، واسترد فاروق حقه المهدر وحريته المقيدة، واستلم عمله كمستشار بمحكمة النقض، واسترد عبد العزيز خميس عمله في أكبر المجلات الصحفية، لكن شريف فقد عقله تمامًا من كثرة التعذيب في السجن الحربي، ورفعت الحراسات عن الأرض.

***

انتهى عاطف وكريمة من دراستهما في كلية الطب، وتظهر نتائج

الامتحان بالنجاح، ويتوجهان إلى العزبة ومعهما مجدي بعد أن استردا أرض والدتهما، ويعيشون في قصرها من أجل استئصال جرثومة الأمية، فهذا هو الطريق الوحيد لتصبح مصر دولة تحمي أبناءها، يعمل الجميع بأعين مفتوحة في صمت لمحو أمية الفلاحين ونشر التوعية العصرية ويتعرضون للشكاكين والمغرضين وأصحاب النفوذ والمنتفعين بالجهل، ولكنهم يستمرون، فهم مزودين بوعي تاريخي وبحصانة ذاتية هو الحب النقي الذي تكون في عصر يقف على باب الحرية.

***

يتجرد عبد الرحيم الحمزاوي من أعوانه الكبار فينكشف تواطؤه مع موظفي الإصلاح الزراعي لكتابة بعض الأفدنه بأسماء أقاربه وأصدقائه تهربًا من تحديد الملكية، وكذلك قضية الشروع في قتل نادية (ابنة أخيه المرحوم نجيب باشا الحمزاوي)، ويصاب بالشلل قبل أن يزج به إلى السجن مع أعوانه، أثناء ذلك تحدث مفاجأة تقلب موازين العزبة إذ يهرع الأهالي على مصرع سبع الليل بيد إحدى أعوانه بعد اختلافهما، ويسود الفرح العزبة بأكملها.

وحدثت مفاجأة أخري اهتزت لها القلوب فرحًا، حيث لقى اللواء حمزة البسيوني قائد السجن الحربي الذي قتل الألوف من الثوار المصريين مصرعه أثناء عودته من الإسكندرية على الطريق الزراعي

وهو يقود سيارته الخاصة ومعه أسرته، إذ تدخل قطعة حديد في رقبته، ويخور كما يخور الثور، ولم تنزع قطعة الحديد إلا بعد أن فصل الرأس عن الجسد، وعندما أدخلوا الجثة المسجد كي يصلوا عليها أبت أن تدخل، ودفنت ولم يصلوا عليها صلاة الجنازة، لأن عدالة السماء أقوي من جبابرة الأرض.

***

يتقدم فاروق إلى شريف طالبًا يد ابنته كريمة لابنه عاطف فلا يجبه برد قاطع لأنه لا يعي شيء لشروده ذهنيًا مما حدث له من تعذيب في السجن الحربي، وأخيرًا أصر مجدي على عقد قران أخته، فاليوم التالي استدعي مجدي وعاطف إلى الجيش.

وتتوفى زوجة اللواء محمد نجيب الرئيس السابق فأمر الرئيس محمد أنور السادات بتشييع جثمانها كزوجة رئيس جمهورية، ويتم نقل جثمان فاروق الملك السابق(من قبر إبراهيم بن محمد علي) حيث دفن إلى جوار أبيه في نفس مسجد الرفاعي، وكان هذا بأمر الرئيس محمد أنور السادات تنفيذًا لرغبة شقيقاته.

***

obeikandl.com

(45)

وأصدر رئيس الجمهورية قراراً بالاستغناء عن خدمات الخبراء السوفيت البالغ عددهم 15 ألف خبير ومعهم عائلاتهم و ذلك يوم الثلاثاء 18 يوليو 1972م وتم ترحيلهم جميعا إلى الاتحاد السوفيتي، وكان لهذا القرار صدى كبير في دول العالم، تبدأ الدولة في الاستعداد لخوض معركة النصر، يبدأ الجميع في الجهاد المقدس كلٌ في موقعه.

وقام الرئيس محمد أنور السادات بزيارة عمل للمملكة العربية السعودية، أجتمع خلالها مع جلالة الملك فيصل، حيث تم تقييم شامل للموقف الراهن في ضوء استخدام كل الطاقات وإمكانيات التضامن العربي الشامل من أجل تحرير الأرض العربية، وقدم له الملك فيصل كل ما طلب منه وأكثر ودعا له بالتوفيق، وكانت هذه لمسة تقدير من الملك، وحياه الرئيس على شعوره الطيب نحوه، وتبادر جميع الدول العربية بالوقوف مع مصر.

***

وتنشط كريمة في تعبئة القلوب بالحب والثقة والنضال، فالجميع

يدركون أنها فرصة مصر الأخيرة فإما أن تحصل على اللؤلؤة ، وإما، وتحصل مصر على اللؤلؤة.

بعد ما أصدر الرئيس محمد أنور السادات قراره التاريخي (يوم السبت 6 أكتوبر 1973م ـ 10 رمضان 1404هـ) الساعة الثانية بعد الظهر، إندلعت الشرارة المباركة بقيام القوات الجوية بقيادة الفريق محمد حسني مبارك بتنفيذ الضربة الجوية المركزة على المطارات وتحصينات وقيادات ومدافع العدو في سيناء، وعبرت القوات المسلحة قناة السويس لاسترداد الأرض من أيدي العدو الصهيوني، وتحقيق أعظم أعجاز عسكري في التاريخ بعبورها أكبر عائق مائي واجهته المعارك في تاريخ الحروب، وتحطم قلعة بارليف التي امتدت على طول القناة، وتكسر الذراع الطويل التي كانت تتباهى به إسرائيل، وتحطمت أسطورة الجيش الذي لا يقهر، وانهزمت شر هزيمة، وكذلك فعلت سوريا من أجل استرداد أرضها.

يستشهد مجدي بعد أن قام ببطولات خارقة مع القوات الخاصة أثناء العبور العظيم، ردد هذا عاطف عند عودته جريحًا، فقد كان زميل كفاح تحرير الأرض الغالية، ويعود الجنود المنتصرون صيادو اللؤلؤة.

***

يرفض عاطف أن يعود إلى كريمة لأنه لا يستطيع السير، لقد فقد

إحدى ساقيه أثناء النضال من أجل مصر، وأصبح من مشوهي الحرب، كانت مصر محتاجة إلى سواعد أبنائها فأعطها مجدي وعاطف كل ما عندهما، لقد توهجا أثناء المعارك وقام بأعمال فدائية مبهرة، واستشهد مجدي أما عاطف فكان واحد من العديد صنعوا ملحمة البطولة، وحين واجه واقعه وعجزه بعد الحرب كان يفكر بلا عقل، فظن إنه أصبح شيئًا خارجًا، فهو قد أعطى كل ما عنده وهو لا يريد شيئًا لنفسه، لهذا فسوف ينفصل عن الأحياء وينزوي بعيداً مستريحًا بعد أن قام بعمله خير قيام، أنه مخطئ، فدخان المعارك حجب بصيرته.

يفيق شريف السحرتي من ما هو فيه على أثر الانتصار العظيم، ويتعاون مع فاروق المواردي لمساعدة ابنه ليري الحقيقة، وأنه مازال قادراً على العطاء، ويتعاون الجميع على أعادته إلى الصواب لرؤية الحقيقية.

***

يكرم الرئيس البطل محمد أنور السادات أبطال النصر وأولهم الفريق محمد حسني مبارك القائد العام للقوات الجوية صاحب الضربة الجوية الأولى لمعركة تحرير الأرض بأرفع الأوسمة، الفريق عبد الغني الجمسي رئيس هيئة الأركان بأرفع الأوسمة، الفريق فؤاد ذكرى القائد العام للقوات البحرية بأرفع الأوسمة، الفريق محمد علي فهمي

القائد العام لقوات الدفاع الجوي والصواريخ بأرفع الأوسمة، اللواء فؤاد عزيز غالي قائد الجيش الثاني بأرفع الأوسمة، اللواء أحمد بدوي قائد الجيش الثالث بأرفع الأوسمة، وكذلك القادة في مختلف الوحدات العسكرية، والأبطال من الجرحى والشهداء من الضباط والجنود.

***

obeikandl.com

(46)

وأثناء مظاهر الاحتفال ببطولة الأبطال عمت الفرحة كل الأسر، وتنتدي عيون الجميع بدموع الفرح، ويتعانق شريف وفاروق وقد كسا الشيب شعرهما، وتذكرا حبهما لمصر وعما حدث لهما مع الثوار ضد الاحتلال الإنجليزي، وهم الآن يري حلمهما القديم صار وقعا وحقيقة، ويتعانق الأبناء عاطف وكريمة، ويذهب الجميع لزيارة قبر الشهيد فؤاد والشهيد مجدي و قبر نادية وقبر نبيلة (زوجة فاروق الذي قتلوها الإنجليز)، وتحدث عاطف مع كريمة أمام قبر والدتها وهو في حيرة:

ـ أما زلتي مصرة على ما بينا . . وبعد هذه العاهة المستديمة .

ونظرت له وعلى فمها ابتسامة حلوة وقالت:

ـ أنا فخورة بك وبهذه العاهة . . لأنها مفتاح النصر لأمة بأكملها كانت منكسرة . . ولا تنسي ما بيننا من حب عظيم . . فأنت بطل وسنظل سويا مدي الحياة . . وسيردد أولادنا حكاية العبور العظيم .

أثناء حديثهما يتركهما الوالدان ويتجها إلى قبر الشهيد فؤاد همام، ويتذكر المستشار فاروق كلمات قالها له جندي الحراسة عن الشهيد قبل وفاته، ودمعت عيناه، وينظر له صديق عمره في دهشة ويقول:

ـ أتبكي يا فاروق في يوم الفرحة الكبرى!!

ونظر له والدموع مازلت تنحدر على خديه وقال:

ـ تذكرت كلمات قالها الشهيد فؤاد لجندي الحراسة قبل أن تفيض روحه إلى بارئها.

ـ ما هي الكلمات التي تجعلك تبكي بغزارة.

وتحدث ومازالت عينيه مملوءتين بالدموع:

ـ يا خوفي يا مصر ليجي عليك يوم وتعيشي في حرية. . وتنسي إللي ماتوا علشانك.

يربت على كتفه وقد أغرقت عيناه بالدموع إثر سماعه هذه الكلمات:

ـ كفا يا صديق عمري. . هون على نفسك وكل شهداءنا في الجنة ولن ننساهم أبدا لأنهم زملاء كفاح. . ولن ينساهم الأحرار من شعب مصر. . ولن ننسى الباشوات الذين أحبونا. . ومدونا بكل ما نحتاجه. . ومنهم المرحوم نجيب باشا الحمزاوي والد المرحومة زوجتي. . ونهاد شريف باشا. .

ويقاطعه في ود :

ـ وللآن نحرص على زيارته كل يوم جمعه في قصره بالمريوطية . . بناء على رغبته الشديدة . . ولم ننسى شهداءنا مدحت شوكت وعلي عيد . .

ويقاطعه في شدة :

ـ هل نسيت محمود العيسوي المحامى . . وطالب الطب البيطري عبد المجيد حسن الذي حكم عليه بالسجن وافرج عنه معنا وداهمه المرض حتى توفي . . وخيري أبو عافية الجالس على كرسي متحرك ونقوم بزيارته حتى الآن .

ـ لم أنساهم يا فاروق . . وكنت سأذكرهم لكنك قاطعت حديثي .

ـ معذرة . . أعترف لك بأنني بكيت بمرارة و أنا اقرأ مقدمة كتاب الكفاح السري ضد الإنجليز . . والمقدمة التي خطها بقلمه محمد أنور السادات لمذكرات وسيم خالد زميلكم الراحل الذي صور فيها أفكاركم واتجاهاتكم من خلال الظروف التي عشتوها والأحداث التي تفاعلتم بها . . وتذكرت من خلال دموعي عندما رأيته مرة واحدة وهو شباب الست والثلاثين وهى عمر وسيم خالد الــذي واراه التراب .

ـ لأن وسيم أصيب بمرض القلب خلال فترة سجننا في غياهب قرة

ميدان على ذمة الاغتيالات السياسية . . وأتذكر في لقائي الأخير بوسيم خالد الذي عرض على العقد الذي وقعه مع الأستاذ سعد الدين وهبه وباع فيه حقه ـ كمؤلف لكتاب الكفاح السري ضد الإنجليز ـ للسينما . . وتمنيت أن تعود الفكرة إلى الحياة لتخرج القصة إلى الشاشة البيضاء . . علمًا بأن الطبعة الأولى من الكتاب نفذت . . وأتصل به الكثيرون طالبين بإلحاح طباعة المزيد من الكتاب .

ـ ولا ننسى زملاء الكفاح مع الثوار محمد أنور السادات وحسين توفيق وأخيه سعيد ومحمد كامل (ابن خالتهما) وعبد العزيز خميس ومحمود العيسوي والطالب عبد المجيد حسن و مدحت شوكت وعلي عيد وخيري أبو عافية وأنت يا شريف و وسيم خالد الذي تحدثت عنه والثوار الذين اتهموا معكم في قضيه قتل أمين عثمان باشا عميل الإنجليز .

ـ وبعد كفاحنا مع الثوار ينتخب بعض زملائنا في مراكز مرموقة بالدولة . . ومنهم محمد أنور السادات رئيسا لجمهورية مصر . . ومحمد كامل وزيرا للخارجية . . و عبد العزيز خميس صحفي في أكبر المجلات المصرية .

ـ هذه سنة الحياة يا صديقي . . وأن الله ليضيع أجر من أحسن عملاً .

وينصرفا من أمام المقبرة متجهين إلى أبنائهما ، ومازالت الدموع في

أعينهما، وتعم الفرحة والسعادة كل أبناء الوطن الخالد والأمة الإسلامية بهذا النصر الكبير.

***

وتبدأ أيام تاريخية يمكن تلخيصها في جملة واحدة هي (أن العرب حققوا الخطوة الأولي في مجال النصر الدبلوماسي الذي أصبح ممكنًا بفضل روح أكتوبر، قتاليًا وبتروليًا، واقتصاديًا، وتضامنًا عربيًا) وكانت بداية تحقيق هذه الخطوة، أو تحريك جمود الموقف في السادس من أكتوبر، حينما حققت قواتنا المسلحة معجزة أعترف العالم كله بها، بل وحاول الخبراء العسكريون في شتي أنحاء العالم الاستفادة منها في خططهم العسكرية للمستقبل، إن الفصل بين القوات هو جزء من وقف إطلاق النار الذي نصت عليه قرارات مجلس الأمن، وتمت المباحثات عند الكيلو 101، ووقع عليها يوم الجمعة 18 يناير 1974م على أن تنسحب إسرائيل على ثلاث مراحل، تستغرق في مجموعها أربعون يومًا، على أن تنسحب إسرائيل بعد ذلك من سيناء انسحابا كاملا، وذلك بعد محادثات السلام الدائم الذي يقوم على العدل وعلى استرداد العرب لأراضيهم.

***

(تمت)

obeikandl.com

المراجع

- العرب والعروبة ـ الدكتور حسين فوزي النجار .
- الملف السري للملك فاروق ـ تأليف هيوج ماكليف ـ ترجمة أحمد فوزي .
- ليالي القاهرة ـ حنفي المحلاوي .
- أيامه الأخيرة (الملك فاروق) ـ حلمي سلام .
- كيف سقطت الملكية في مصر ـ محمد عودة .
- كانت ملكة (ناريمان آخر ملكات مصر) ـ جميل عارف .
- إبراهيم بغدادي (كيف قتلت الملك فاروق) ـ محمود فوزي .
- الملك الذي غدر به الجميع ـ عادل ثابت .
- كلمتي للتاريخ ـ محمد نجيب .
- جمال عبد الناصر ـ أحمد أبو الفتح .
- البحث عن الذات ـ أنور السادات .
- صفحات من حياة السادات ـ عبد العزيز خميس .
- والآن أتكلم ـ خالد محيي الدين .
- الفساد ـ علوي حافظ .

obeikandl.com

ملحق الصور

obeikandl.com

obeikandl.com

محمود العيسوي المحامي ، المتهم بإغتيال أحمد ماهر باشا ، بعد الحادث ٥

محمود العيسوي المحامي، المتهم باغتيال أحمد ماهر باشا، بعد الحادث.

الملك فاروق بزيه الرسمي توجه إلى الميناء لاستقبال الملك عبد العزيز آل سعود الذي وصل على ظهر الباخرة في زيارة رسمية إلى مصر يوم الجمعة 11 يناير 1946م

كامل الفاويش وكيل النيابة، يتأمل مجموعة من القنابل اليدوية وبجواره القائمقام محمد إبراهيم إمام من ضباط القسم السياسي ينفحص مسدسًا من مضبوطات قضية قتل (أمين عثمان باشا).

3

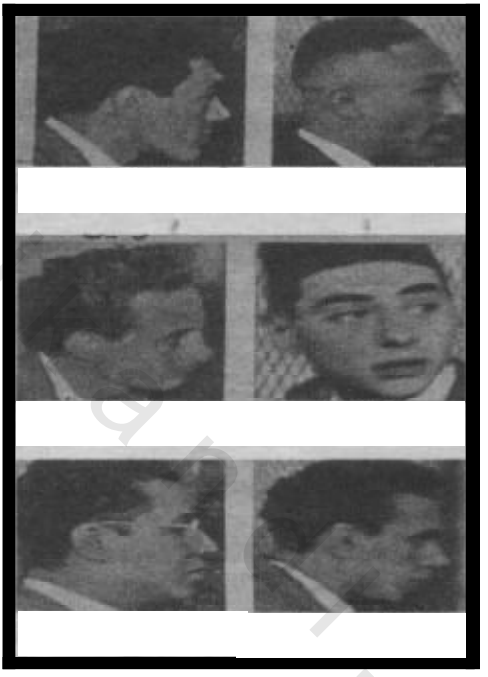

المتهمون في قضية قتل أمين عثمان باشا

4

المتهمون في قضية قتل أمين عثمان باشا

5

المتهمون في قضية قتل أمين عثمان باشا

obeikan.com

مصطفى النحاس باشا يدلى بشهادته أمام محكمة الجنايات في قضية مقتل أمين عثمان باشا

6

حسين توفيق والمتهمون باغتيال (أمين عثمان باشا) فى المحاكمة

7

سيارة البوليس التي تنقل المتهمين في قضية قتل (آمين عثمان باشا) وبها المخبرون ورجال البوليس وظهر من المتهمين في الصورة عبد العزيز خميس ووسيم خالد ثم أحد الضباط ومخبر وحسين توفيق وإلى جانبه محمد أنور السادات وضابطان من ضباط الحرس .

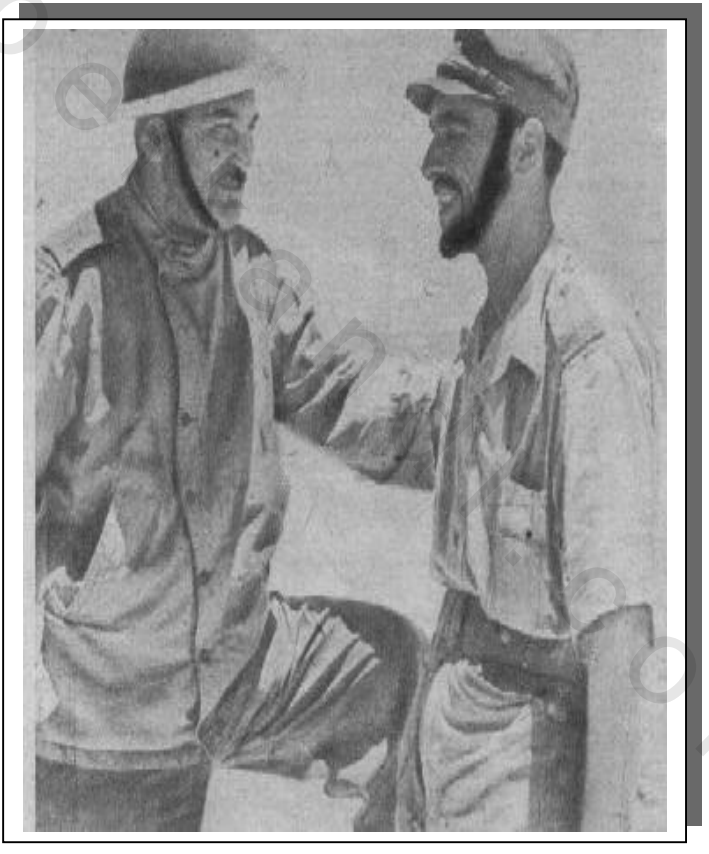

القائمقام أحمد عبد العزيز في حديث مع أحد الثوار الذين أثارها
الرعب في صفوف الإسرائيليين حتى أنهم أطلقوا عليه القاتل

عبد المجيد حسن الطالب بكلية الطب البيطري، المتهم باغتيال محمود فهمي باشا النقراشي ، بعد الحادث .

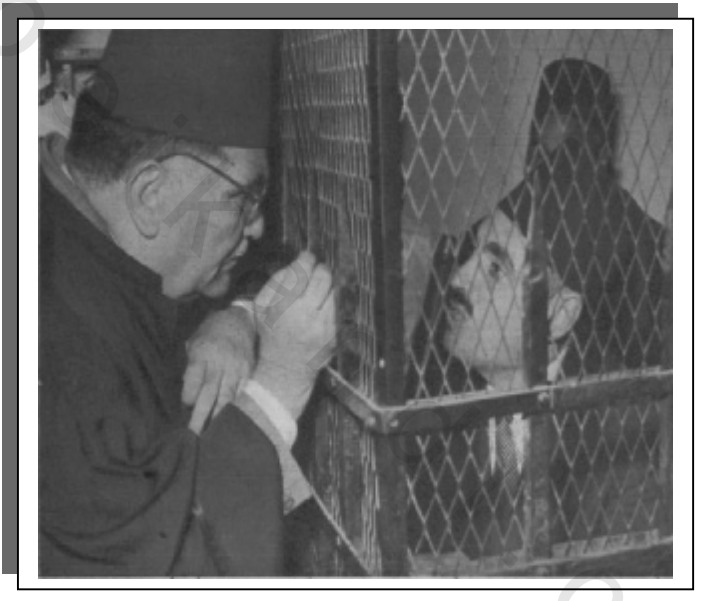

أحمد حسين المحامي رئيس حزب مصر الفتاة في قفص الاتهام بمحكمة الجنايات حيث اتهم بتدبير حريق القاهرة .

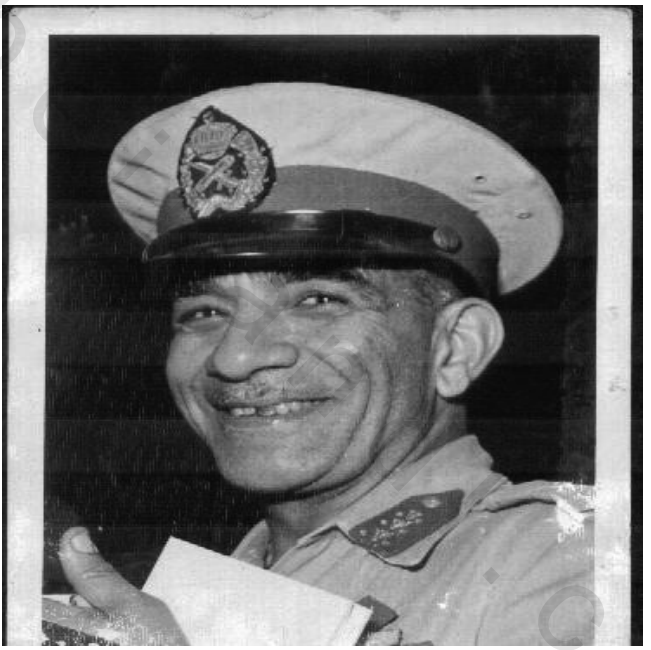

اللواء محمد نجيب باشا قائد حركة الجيش الذي أجبر الملك فاروق بتنازله عن العرش لابنه أحمد فؤاد ولي العهد يوم السبت 26 يوليو 1952م وبعد إلغاء الملكية تم إعلان الجمهورية يوم الخميس 18 يونيه 1953م وتم تعيينه أول رئيس لجمهورية مصر

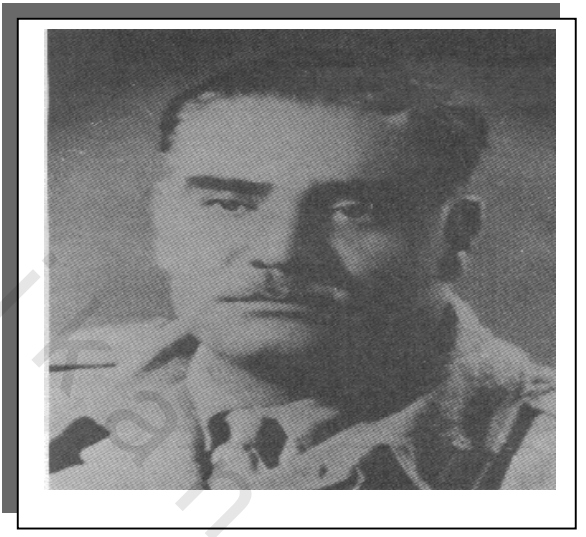

البكباشي يوسف صديق

الصاغ خالد محيي الدين

الصاغ ثروت عكاشة

د. عبد الرازق السنهوري باشا رئيس مجلس الدولة

الرئيس محمد أنور السادات أثناء زيارة عمل للمملكة العربية السعودية وقابله جلالة الملك فيصل حيث تم تقييم شامل للموقف الراهن في ضوء استخدام كل الطاقات، وأعطاه كل ما طلب منه لتحقيق النصر.

الرئيس البطل محمد أنور السادات صاحب قرار العبور العظيم

غرفة العمليات : الرئيس محمد أنور السادات بين الفريق محمد حسني مبارك القائد العام للقوات الجوية ، والمشير أحمد إسماعيل وزير الحربية وهم يشهدون اللمسات الأخيرة على الخطة قبل ساعة الصفر .

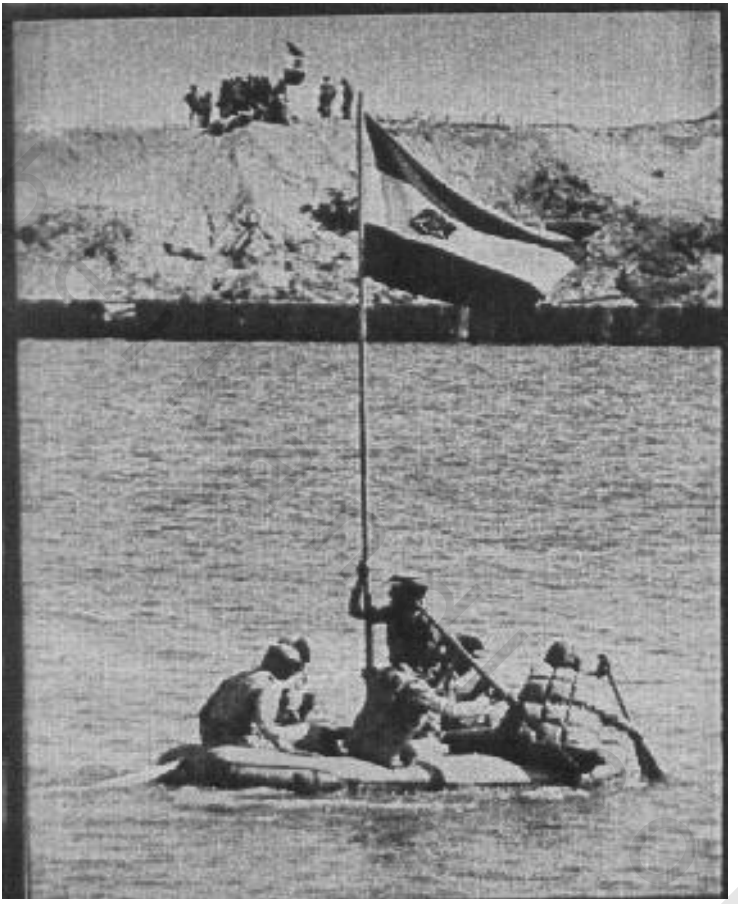

الجنود المصريون وهم يعبرون القناة يوم 6 أكتوبر 1973

الدبابات تعبر الجسور التي أقامها المصريون بعد العبور واختراق خط بارليف بعد الضربة الجوية الأولى .

أبطال نصر 6 أكتوبر . . اللواء أحمد بدوي والفريق محمد حسني مبارك والفريق فؤاد ذكري والفريق محمد علي فهمي والفريق عبد الغني الجمسي .

نال الأبطال كل التقدير من الرئيس محمد أنور السادات، وكان لابد من التعبير عن الامتنان، ويرى الفريق محمد حسني مبارك القائد العام للقوات الجوية وهو يقدم له شعار أبطال الضربة الجوية الأولى (النسر).

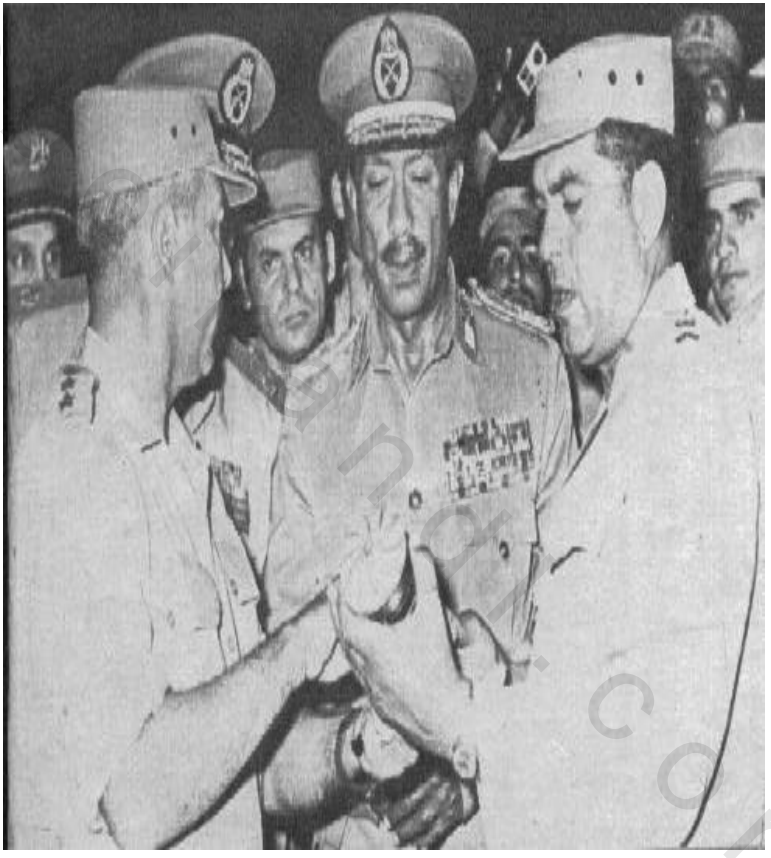

يأخذ الرئيس محمد أنور السادات دانتين هدية من اللواء أحمد بدوي قائد الجيش الثالث.

رائد طيار عاطف محمد السادات، طيار من المقاتلات القاذفة ميج 21، أبلى بلاء رائعًا في ضرب مطار المليز حيث احتشدت طائرات العدو، وكان الشهيد ضمن القوات الجوية التي قامت بتنفيذ الضربة الجوية المركزة على مطارات وقيادات ومدافع العدو في سيناء يوم 6 أكتوبر 1973م.

مقاتلون أبطال، أعطوا لمصر أغلى شيء، وردت مصر الجميل ومنحوا الأوسمة، ومنعتهم أصابتهم من الانتقال إلى مكان القائد الأعلى، وكان قرار الرئيس (أنا سأنتقل إليكم) ومعه القائد العام لتكريم الذين عبروا من النكسة إلى النصر.

الرئيس محمد أنور السادات بروح الأبوة والحنان ينتقل بين الجرحى ليستمع إلى مشاكلهم، ويصدر الحلول الفورية لهم، وفاءً وعرفانًا.

الأدباء والفنانون شاركوا في تكريم الأبطال (جرحى معارك رمضان) فكرمهم الرئيس، وهذه تحية خاصة من الرئيس محمد أنور السادات إلى الأديب الكبير توفيق الحكيم، ووقف الأديب الكبير يوسف السباعي (وزير الثقافة والإعلام) يستمع إلى كلمات الرئيس.

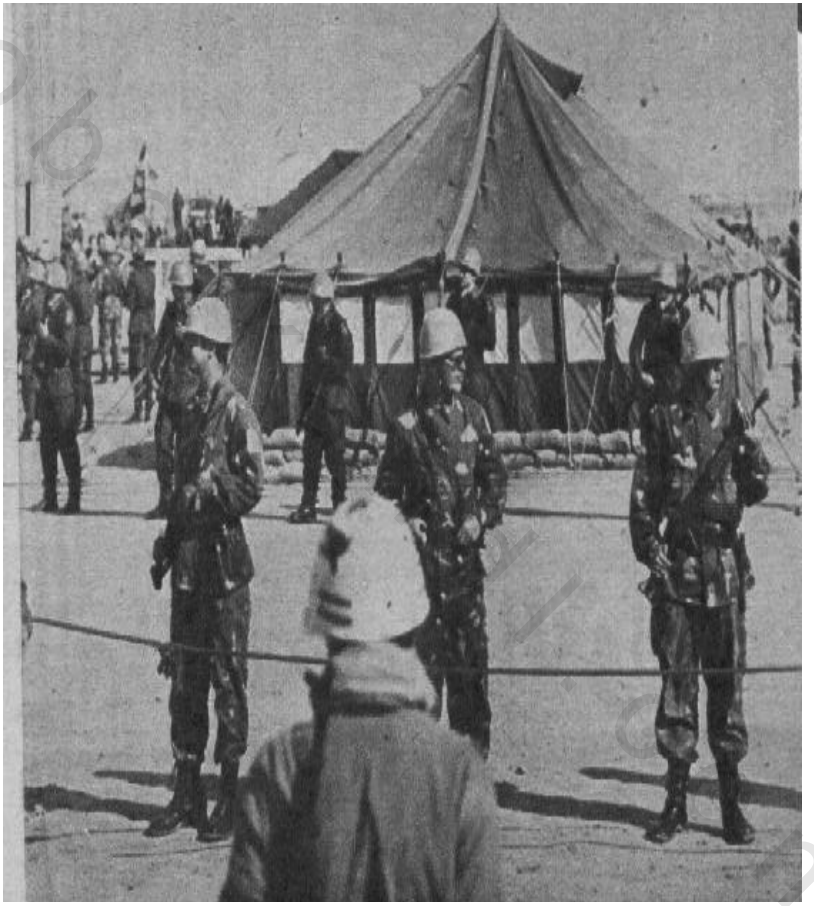

خيمة الكيلو 101 التي تم فيها توقيع اتفاق فصل القوات على جبهة السويس يوم الجمعة 18 يناير 1974م.

القوات الإسرائيلية تزيل الحواجز من المواقع التي اختطفت، واختفت خلفها لفترات طويلة، واندلعت (حرب رمضان) وكسرت الزراع الطويل الذي كانت تتباهى به، وخرجوا من مصر إلى غير رجعة.

من فوق حطام أحد المواقع الحصينة للعدو بخط بارليف وقف الرئيس محمد أنور السادات يشا
هد قناة السويس.